الاسلام

فى حاجة الى دعاية وتبشير

بقلم الاستاذ :

محمد السعيد الزاهري

رحمه الله

عضو جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

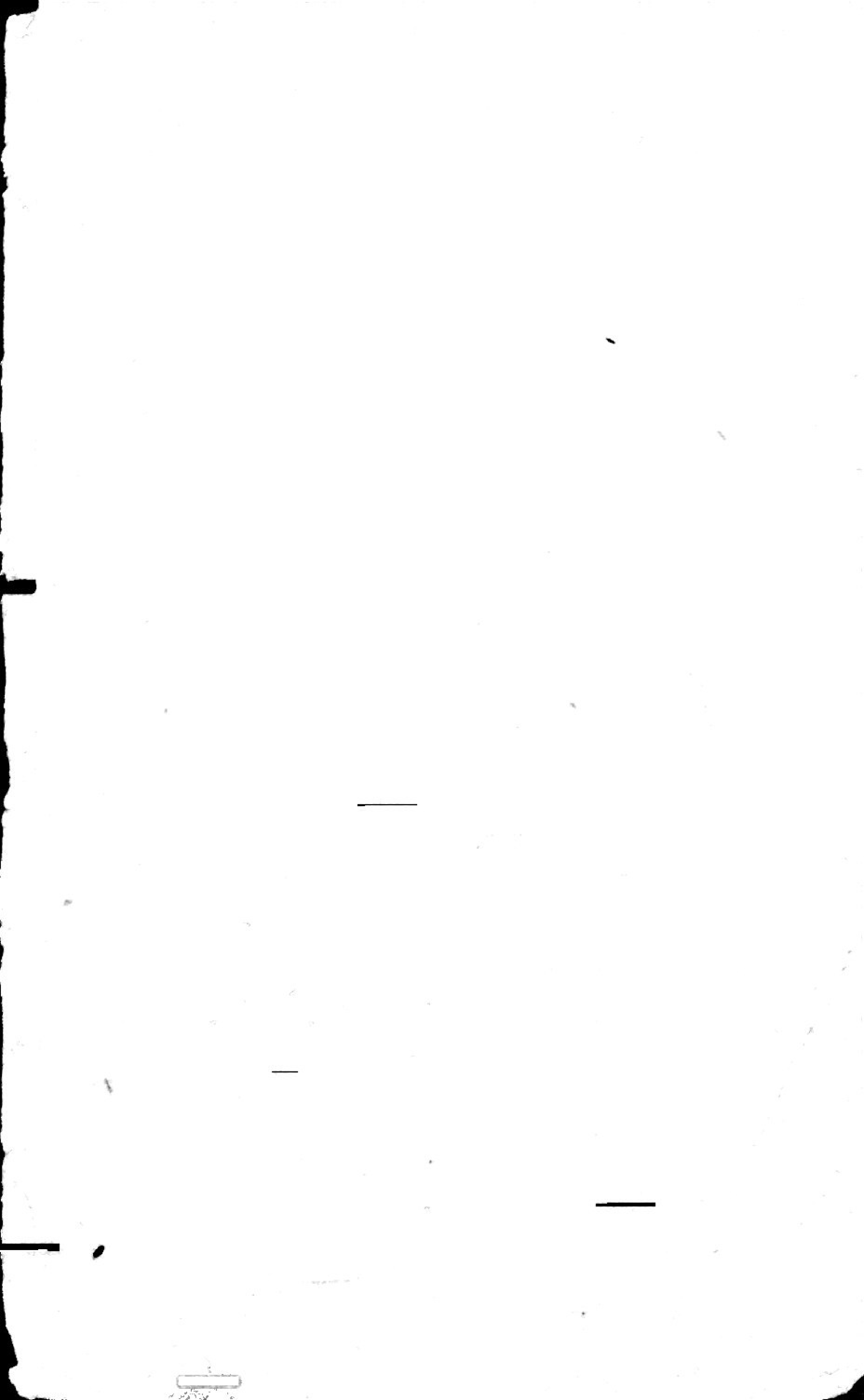


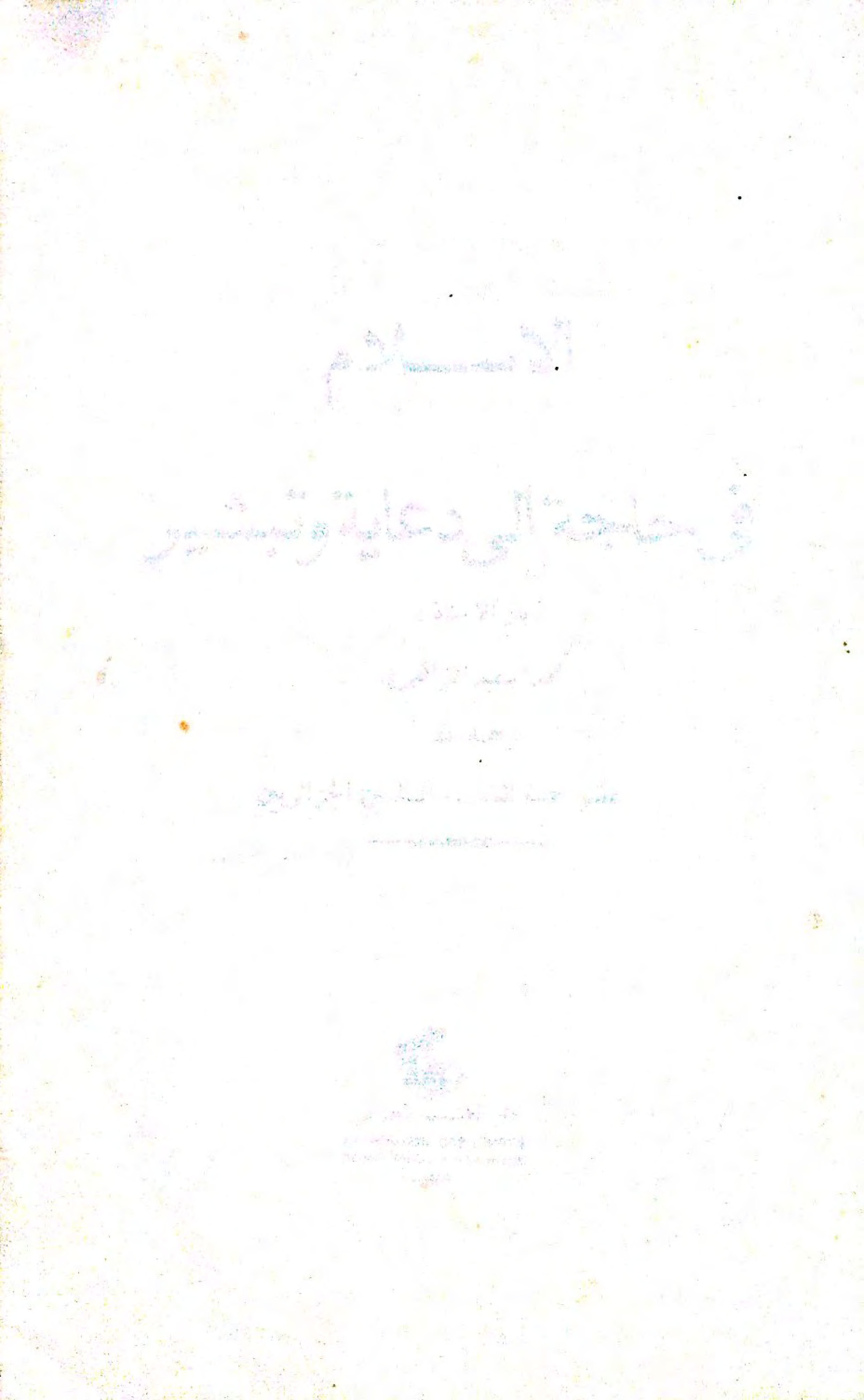
دار الكتب الجزائر

LA MAISON DES LIVRES

12 Rue Maitre A. Boumendjel

ALGER





الإسلام

في حاجة إلى دعاية وتبشير



الاسلام

في حاجة الى دعاية وتبشير

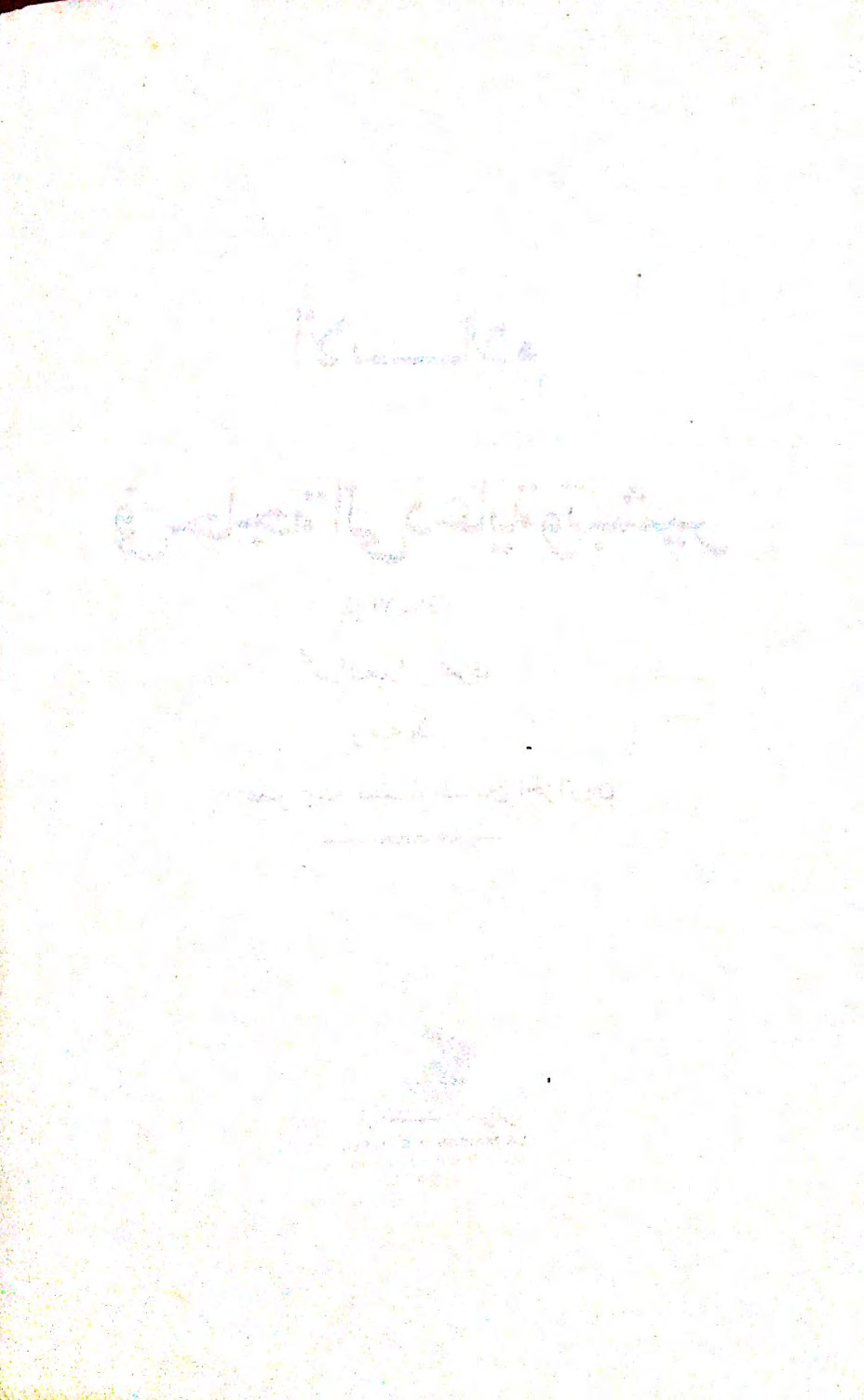
بقلم الاستاذ :

محمد السعيد الزاهري

رحمه الله

عضو جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

دار الكتب الجزائر
LA MAISON DES LIVRES
12 Rue Maître A. Boumendjel
ALGER



بسم الله الرحمن الرحيم
والصلاة والسلام على اشرف المرسلين

كلمة الناشر :

بحول الله عقدت شركتنا ، دار الكتب ، العزم على العناية بنشر التراث الاسلامي وكتب الاطفال بصفة عامة وما كان منه جزائرياً بصفة خاصة ليقع التكامل بيننا وبين المؤسسات الوطنية التي تعمل بدون هوادة في هذا الميدان .

وذلك لانه ولله الحمد منذ استقلت البلاد تكاثر طلاب العلم والمعرفة فيها حتى اصبح عرض الكتاب لا يفي بطلبه .

وعليه دار الكتب تتقدم الى طلبة العلم والعلماء والكتاب بمنشوراتها المتواضعة من الاسلاميات والادبيات وكتب الاطفال راجين منهم مساعدتنا وارشادنا بمعلوماتهم حتى يقوم كل منا بواجبه خدمة للعلم والدين وفقنا الله لما فيه الخير والصواب ءامين .

وسطاني محمد الصغير
مدير دار الكتب




الاستاذ محمد السعيد الزاهري

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

من نحو سبع سنوات ، حينما كنت انشر هذه الفصول في مجلة «الفتح» الاسلامية التي تصدر بالقاهرة ، لم اكن أنوي ان أجمعها في كتاب على حدة ، ولم أكن اعتقد انها فصول ذات بال . ولكن ما نشر منها فصل إلا وقابله القراء بغاية الرضى والاستحسان . ونشطني ذلك فمضيت في هذا السبيل .

وكان كاتب الدهر عطوفة الامير شكيب ارسلان كتب الي يومئذ يقول لي إنه اعجب بهذه الفصول كل الاعجاب ، ويدعوني الى المثابرة والمزيد . وقال إنه يرى أن اركان الادب العربي في الجزائر اليوم هم اربعة : الزاهري وباديس والعقبي والميلي . فكتبت انا اليه يومئذ ادله على آخرين هم من نوابغ الادب اليوم في هذه البلاد . وذكرتهم له باسمائهم . وكان يومئذ حضرة العالم المفضال الاستاذ الشيخ محمود ياسين يكتب الى مجلة «الفتح» من دمشق بمقالات

نافعة بعنوان « سرني وساءني » فكان كلما نشر فصل من هذه الفصول الا و كتب عنه وقال « سرني من كلام الزاهري كيت و كيت » و كانت الآنسة نفيدة علاَّم المعلمة الفضلى في مدرسة ثنوية للبنات في مصر قد اعجبت بفصل « الكتاب الممزق » و كتبت في « الفتح » يومئذ مقالا تبدي فيه هذا الاعجاب . وترجم اكثر هذه الفصول الى الفرنسية ، وترجم فصل واحد منها الى لغة الملايو . ولما صدرت الطبعة الاولى لهذا الكتاب في سنة 1347 اثنت عليه جميع الصحف العربية التي اهديت اليها نسخ في المشرق والمغرب . واني اذكر بعض ذلك على سبيل المثال : فقد عدت مجلة « المجمع العلمي العربي » في دمشق هذا الكتاب دليلاً على ان في الجزائر وتونس والمغرب الاقصى نهضة علمية ادبية ناضجة مباركة . وقالت مجلة « المعرفة » الغراء التي تصدر في القاهرة في عدد مارس ١٩٣٢ ما خلاصته : فكرة التبشير الاسلامي نشأت مع الفتح الاسلامي جنباً الى جنب ... وجاء اليوم كاتب الجزائر الاستاذ الشيخ محمد السعيد الزاهري . فكساها

ثوب العصر الحاضر ، وخلع عليها أسلوب الرواية الرائع ·
فجاء كتابه « الاسلام في حاجة الى دعاية وتبشير » الذي هو
الآن بين ايدينا عذباً طلياً · ومبتكراً جديداً في هذا الباب ·
ومضت تثني على هذا الكتاب، وتحث على مطالعته واقتنائه ·

و كتب علامة الجزائر الاستاذ الجليل الشيخ عبد الحميد
ابن باديس رئيس « جمعية العلماء المسلمين الجزائريين » فصلاً
قيماً عن هذا الكتاب نشره في جزء شعبان 1350 من مجلة
(الشهاب) التي تصدر تحت اشرافه في قسنطينه (الجزائر)
جاء فيه ما نصه : « عرفنا شاعر الجزائر » الشيخ السعيد
الزاهري شاعراً خنذيذاً ، وعرفناه كاتباً رحب البيان بليغا ،
وعرفناه في هذا الكتاب داعية اسلامياً كبيرا · وقد خاض
مسألة الحجاب ، والمرأة الجزائرية ، ومسألة الاسلام والتغريب
والشبيبة المتعلمة، فابان من الحقائق، واقام من الحجج ما لا يلقاه
اشد الخصوم — اذا انصف — الا بالاكبار والتسليم · وساق
ذلك كله في اسلوب من البلاغة « الشبيه بالروائي » سهل
جذاب : لاتستطيع اذا تناولت اوله ان نتركه قبل ان تاتي

على آخره ... » .

ولعل هذا الثناء العاطر الذي تفضل رئيس العلماء الجزائريين فاثنى به على هذا الكتاب يغني عن ذكر ما لقيه من ثناء ورضي ، ومن اعجاب وتقدير، عند علماء الجزائر وادبائها جميعا . وعند الداعي الى الله فضيلة الاستاذ الشيخ الطيب العقبي بالخصوص .

واني اشكر سائر هوءلاء العلماء والادباء على ما غمروني به من هذا التقدير الذي لا أستحقه ولا أراني له اهلا .

***

وبعد، فان نسخ الطبعة الاولى من هذا الكتاب قد نفدت كلها . فرأيت أن أطبعه هذه الطبعة الثانية ، وهي كما ترى جميلة أنيقة في ورق صقيل ، ومهذبة مصححة ، وقد اضفت اليها زيادات جوهرية وفصولا اخرى لم تنشر في الطبعة الاولى .

وعلى الله توكلت ، وهو حسبي ، ونعم الوكيل .

الجزائر (العاصمة) في 29 محرم الحرام 1352 = 24 - 5 - 1933

محمد السعيد الزاهري

مقدمة الطبعة الاولى

الحمد لله رب العالمين * وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

وبعد فان الاسلام دين دعوة ، وكل مسلم على وجه الارض من وظيفته الدعوة الى الاسلام بسيرته الشخصية اولا ، ثم بحسن فهمه حكمة الاسلام في اساليبه ومراميه ، وبالتنبيه بعد ذلك الى هذه الحكمة في كل ما يضطر اليه من مناقشة وجـدال

وهذه فصول كتبها أخي في الدعوة ، الاستاذ السيد محمد السعيد الزاهري الجزائري لتنشر في صحيفة الفتح ، فرأيتها مثلاً صالحاً للدعوة الى الخير وما يجب ان يكون عليه الداعي من بصيرة وحكمة . لذلك استخرت الله عز وجل في افرادها بهذا الكتاب عسى ان ينفع الله بها ، وهو ولي التوفيق

محب الدين الخطيب

عائشة ...

كنت بعاصمة الجزائر سنة ١٣٤٤ هـ ، وصمت بها رمضان ذلك العام. وكنا رفقة نجتمع كل ليلة من ليالي رمضان ، وكان في رفقتنا محام مسلم جزائري اسمه الاسلامي : « عبد القادر... » واسمه الفرنسي : « ألبرت ... » وهذا الاسم الاخير هو ما تدعوه به أمه الفرنسية ، وأصدقاؤه الفرنسيون والمتفرنسون. وكان هو الآخر متفرنساً ، ومتفرنساً في كل شيء : في عقليته وأدبه ، وفي أخلاقه وعاداته ، وحتى في اللغة العامية التي يتكلمها . فهو لا يقيم الصلاة ، ولا يصوم رمضان ، ولا يحرم ما حرم الله ولا يؤمن بان القرآن تنزيل من الله ، بل كان يحسبه من كلام الرسول ﷺ وهكذا — وهو عند نفسه مسلم — كان من الذين لا يدينون دين الحق . وذلك لانه نشأ نشأة فرنسية محضة ، ما كان يعرف فيهما الاسلام ، ولا يعرف عن المسلمين شيئاً ، فقد ربته أم فرنسية ، في وسط فرنسي ...

ومع ذلك فقد وجدنا فيه خصلة حميدة هي التي كانت تربطنا به وتربطه بنا ارتباطاً متيناً ، وهي وطنيته الحقة ،

وغيرته الصادقة على الجزائر وإخلاصه لابنائها ، وجهاده في سبيلها جهاداً شريفا . فكنا نتماون على البر بالجزائر ، وعلى خدمة القضية الجزائرية : هو يستعين بي على فهم نفسية الجزائر المسلمة ، وأنا أستعين به على ما صدر في القضية من قرارات وقوانين .

وكان متزوجاً بزوج فرنسية لانعرف هي ايضا العربية الدارجة إلا قليلا ، وكانت تحضر معه مجالسنا تلك . فكنا (أنا وإياه) نتكلم في الصلاة والصوم والقرآن ، وما إلى ذلك من مسائل الدين . وكان رجلاً لايذعن إلا للحجة والدليل ، فكان لذلك من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه . فتحاورنا ماشاء الله محاورة مخلصة لانريد بها إلا بيان الحق ، ثم أذعن وصام وهجر الخمرة وآمن بالله وباليوم الآخر وأيقن بان القرآن من عند الله لاريب فيه . ثم كان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وما وجدت أية صعوبة في إقناعه . مع أني لم أكن أطمع فيه ، لما أعرفه في هؤلاء من المكابرة والعناد .

وليس مرادي أن اقص حكاية مسلم كان ضالاً فاهتدى من ضلاله، وانما مرادي شيء آخر غير هذا فقد انقضى رمضان ذلك وتفرقنا : فسافرت أنا في النصف الأخير من شوال 1344 هـ الى مدينة الاغواط بجنوب الجزائر مندوباً من بعض سرانها، فأنشأت بها (مدرسة الشبيبة القرآنية) باعانة فضلائها واحتملت من العناء في هذا المشروع ما لا طاقة لي به (1) لولا حب هذا الوطن البائس وحدث لى ما اضطرني الى السفر الى بسكرة (مسقط رأسي) فخلفني - لحسن الحظ - على المدرسة أخ مصلح كريم دعوته لهذه المهمة، وهو الاستاذ مبارك الميلي.

وسافر صديقى المحامي الاستاذ عبدالقادر ... الى فرنسا هو وقرينته ومضت فترة لاأكتب اليه فيها، ولا يكتب الي ولبثنا كذلك، حتى جاءتني منه ذات يوم رسالة يخبرني فيها بما عمله هنالك للجزائر، وبما ينوى أن يعمله لها، ويعاتبني على ما كان من قطيعة وجفاء ويخبرني باسلام قرينته، ويشكر

(1) لان السلطة لاتريد هذا النوع من المدارس

لي أن كنت سبباً في هدايتها .

وكتبت التي هي بخطها حاشية ضافيــة تقول لي فيها : إنها مدينة لي بهدايتها الى الاسلام لانهاوإن لم تعلن إسلامهاولم تذعه إلا فيهذا اليومفانها كانت اعتنقت الاسلام منذرمضان 1344 ، وكانت قالت يومئذ فيما بينها وبين نفسها : « أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله » منــذ سمعتني اتحدث الى زوجها عن حكمة الصــلاة والصيام وتحريم الخمر ، وعن القرآن الكريم ، وكونه كتاب الانسانية الذي لا يصلحها الا هو ، وكونه تنزيلاً من الله ، ما فيه شك وقالت :

« . . . ومما زادني ايماناً ما رأيته في زوجي ، وهو يحاورك في القرآن ، فقد رأيت كل ما أعرفه فيه من قوة حجة ، واحكام منطق ، كل ذلك رأيته يضؤل امام ما كنت تبديه من ايمان تندفع فيه اندفاعا : فيه لهجة صادقة ، وفيه فصاحة وبيان . وان انس لا انسى وجومه وقد زعم انالوطنية الصادقة تغني عن الدين فقلت له:« اذا كنت لا تدين بدين

ابناء وطنك ، ولا نلبس لباسهم ، ولا نتكلم بلغتهم وعوائدك غير عوائدهم فبماذا تكون وطنيا ؟ ثم اذا كنت تعيش في غير مجتمعهم بعيداً عنهم وتتأدب بأدب غير ادبهم وتتخلق باخلاق غير اخلاقهم فبماذا تميز مصلحتهم من مضرتهم ؟ »

« لقد أسلمت منذ ذلك الحين يا سيدي و كنت اخشى إن انا اذعت اسلامي من النساء الفضوليات ان يسلقنني بالسنة حداد . وذهب عني اليوم هذا الخوف لما قوي ايماني وأعلنت اسلامي وأصبحت أفتخر به بين الفرنسيات في باريس وفي غير باريس و كثيراً ما دعوتهن الى الاسلام ومنهن من يسمعن لقولي و كان من السهل ان يدخلن في دين الله لو انهن وجدن معلماً يعلمهن هذه الهداية وداعياً يدعوهن اليها دعاية فيها اقناع . وفيها بلاغ مبين .

«انا مؤمنة مقتنعة بان الاسلام هو دين الله ما ارتاب فيه ولكني – كما تعرفني – لا املك من البيان ما استطيع ان اقنع به صواحباتي وصديقاتي المتعلمات المهذبات ! على اني قد بلغت وما زلت ابلغ ... »

ثم سألتني عن مسائل في الصلاة والصيام والطلاق ونحو ذلك وطلبت مني ان اختار لها اسماً إسلامياً تسمي به نفسها فاخترت لها اسم « عائشة » وقلت لها لانه اسم عائشة ام المؤمنين احدى ازواج رسول الله ﷺ . وذكرت لها لمحة من ترجمتها . فكتبت الي تخبرني بانها مغتبطة مسرورة بهذا الاسم الكريم وتذكر لي انها عرضته على كثير من معارفها وصواحباتها ففرحن لها فرحاً شديداً وعدن يدعونها « عائشة » ونجد هي هذا الدعاء لذيذاً . وتذكر لي ان قد اعجبتهن تلك اللمحة من ترجمة عائشة ام المؤمنين (رضي الله عنها) واستزادتني من الكتابة اليها بسير فضليات النساء المسلمات وتقول : انها ترجو ان نوفق الى هداية كثيرات الى الاسلام بمثل سير هؤلاء المؤمنات الصالحات . واردت ان اوافيها برغبتها ولكني وجدت في ذلك مشقة وعسراً فقد كنت اكتب اليها الرسالة بالعربية ثم ادفعها الى احد اصدقائي لينقلها الى الفرنسية نقلاً دقيقاً عسيراً غير يسير لما في ذلك من آيات كريمة واحاديث شريفة تصعب ترجمتها وترجمة ما فيها من

اعجاز ·

انا لم اقصد اول مرة الى هداية هذه السيدة المسيحية الى الاسلام ولكن الله هداها اليه بما كنت اتحدث به الى زوجها المسلم وبما كان يجري بيني وبينه في الاسلام من مناقشة وحوار فأسلمت وجعلت تدعو الى الاسلام وتبشر به : لا تلهيها عن ذكر الله زينة باريس وزخرفها ولا ما هنالك من لعب ولهو ولا ما في تلك الحياة من غرور واخاديع ·

— الكتاب الممزق —

اجتمعت يوما — عند عالم من علماء المشرقيات في الجزائر — بسيدة فرنسية كاتبة مستشرقة هي الاخرى ، وتكلمنا في مسألة التبشير الاسلامي والدعاية الى سبيل المؤمنين فقلت: لو ان لهذا الاسلام هداة يهدون بالحسنى ، ودعاة ينشرون الاسلام في اوربا وأمريكا وغيرها لما لبثت الكرة الارضية الا يسيراً حتى يغمرها الاسلام بنوره · فوافقت السيدة على رأي هذا العاجز ، واخبرتنا بانها تعرف اسرة من الاسر النبيلة

في الجزائر تزورها الفينة بعد الفينة ، وتختلف اليها من حين الى حين ، نبحث عن المجتمع النسائي الاسلامي وما يتصل به . وذكرت لنا انها كانت ألفت كتاباً في هذا الموضوع ، وكانت تظنه كتاباً قيماً ، نصحت فيه المرأة المسلمة ، بان تعتمد على نفسها في تحرير رقبتها وان تتمرد على الحجاب فلا تبقى سجينة به . وهكذا جعلت تصف للمسلمة طريق الحرية والخلاص ! وقرأت من كتابها على ربة المنزل في تلك الاسرة وعلى نساء كن معها يستمعن الكتاب وصاحبته تتلوه عليهن ، فلما سمعنه اكبرنه وقلن حاش لله ماهذا حقا ، إن هذا الا خطأ مبين . وابتدرتها ربة المنزل تقول لها : إنك ياسيدتي الفت هذا الكتاب لنا معشر المسلمات بنية حسنة ، وتريدين ان تخدمينا به خدمة صادقة وتعملين لنا به عملاً صالحا (!) ولكن اسمحي لي ياسيدتي ان اقول لك : ان كتابك هذا هو آلة لهدم شرف المسلمة والقضاء على سعادتها ، ولتمزيق ماهي فيه من صيانة وعفاف وكل ما فيه ان الوهم يصور لك المرأة المسلمة اسيرة في يد الرجل وتتصورين حجابها سجنا لها : مع ان الامر ليس

كذلك ، فان حجاب المسلمة صيانة لها ، والمرأة في خدرها
كالوردة في كمها ، والمرأة في خدرها كالملكة في قصرها
لانبرجه ولا نود ان تريم عنه وليس الرجل الا قيماً (قواما)
عليها . تظل هي في منزلها وكل غرامها في اصلاح شؤونه ،
وفي تربية اولادها ويظل هو يكد ويكدح ، ليؤدي مالها
عليه من واجب ، وليقوم لها على ضرورياتها . وهو مسؤول
لها اكثر مما هي مسؤولة له . أترينها — وهي ملكة منزلها —
نسمي نفسها أسيرة بيد الرجل ، ونسمي حجابها سجنا لها ؟
كلا ياسيدتي ، فحجابها هو صونها ، وأولى بالمرأة ان تصان
وتحتجب . وكما يجب على الرجل أن يكون رجلاً كاملاً في
رجولته ، يجب على المرأة ان تكون امرأة انثى كاملة في أنوثتها
وفي الحجاب من لين الانوثة ودلالها مالا يكون في السفور .
والسفور عندنا من عادة النساء البدويات والقرويات ، حيث
الخشونة وشظف العيش . لامن شأن الحضريات حيث الطراوة
والنعومة ، وحيث الرفاهية والعيش الرخيم . والمرأة البدوية
او القروية بسفورها مترجلة تشبه الرجل . ثم هي ليست بامرأة

كالنساء ولا برجل كالرجال

قالت الراوية : واندفعت ربة المنزل تصف المرأة السافرة بأنها لاهية لاعبة مسرفة في لهوها، وفي لعبها ، وقد تقسو عليها فتصفها بقلة الحياء، حتى خجلتُ ووجمتُ فاردت ان اتكلم فلم أقدر على الكلام

قالت : ثم جعلت تُدلُّ بالحجاب، وتزعم أن فيه الحشمة والعفاف ، وفيه الانوثة و كل ما فيها من سحر ودلال، وتُطري المحتجبات ، وتسرف في الثناء عليهن

قالت : وهنا حنقت واستكبرت ـ وانا المتعلمة الكاتبة ـ أن أقف بين يدي امرأة جاهلة موقف الحيرة والوجوم، وانا ما جئتها الا لأعلمها كيف تكون امرأة حرة (!) فجمعت « قوتي في يدي » وقلت لها :

— لو أنك يا سيدتي ذقت لذة الحرية لماصبرت عنها لحظة واحدة، ولمزقت حجابكِ تمزيقا

قالت : وهل انتِ في الحرية تتلذذين بها وتتنعمين في بحبوحتها ؟

قلت : نعم ، أنا كذلك

قالت: وأنت مع ذلك امراة أنثى ؟

قلت : وهو كذلك

قالت: تلك انت عند نفسكِ . وأما عندنا فما أنتِ كذلك

قلت : و كيف ؟

قالت فلنجعلك انتِ مثلاً أعلى للحرية التي تريدينها لنا، فأنت امرأة مهذبة كاتبة ، ونحن ان خلصنا من الحجاب (كما تقولين) وترقينا وتمدينا ، فما نحن ببالغات — مهما امعنا في الترقي والتمدن ـ الى الذروة التي انت فيها من الثقافة والتهذيب ومع هذا كله فما نراكِ كملت في انوثتك، وما نراك الا فقدت أكثر ما تكون به المرأة امرأة أنثى كاملة في انوثتها

قالت الراوية : وهنا قاطعتها — بلهجة غضب — قائلة: ولمهْ ؟

فقالت : انتِ عازبة غير متزوجة ؟

قالت . فقلت « نعم »

قالت : وماذا يمنعك من الزواج ؟

فقلت : لم أجد رجلا كما أحب .

قالت : ويحك ! فهل خلت رقعة الارض من رجل يكون كما تريدين ؟

وواصلت حديثها وقالت : ولا تعمرين منزلك الا قليلا ؟

فقلت : وما ذا عسى يضرني اذا لم أعمره ؟

فقالت : لا تتزوجين ولا تلدين ، ولا تعمرين منزلك ، فما انت بزوجة ، ولا بأم ، ولا بربة منزل ، فاذن بماذا تكونين امرأة انثى كاملة في انوثتها ؟ ابر كوب الخيل ، والخطب الحماسية ، والتصفيق والهتاف ؟ كلا يا سيدتي ، ليس شيء من لين الانوثة ولا نعومتها في هذا ولا في مثله .

قالت الراوية : فما زدت على أن ودعتهن ، وخرجت خزيانة منكسرة مهزومة ليس وراء ما أنا فيه من الخزي والانكسار والهزيمة غاية أخري . و كنت أراني كل شيء عند نفسي ، فصرت أراني أهون ما يكون ، و كان كتابي الذي بذلت في تأليفه اقصى ما يمكن انسانا ان يبذله في مثله أحب ما يكون الي ، فصار ارخص الاشياء وأسمجها في عيني ،

ولم ينطفىء ندمي عليه الا بعد ما محونه محواً من لوح الوجود ، وكان الحجاب في نظري عادة جامدة قاسيــة يجب ان نتمرد عليهـا كل مسلمة تريد ان تخرج الى هذه الحيــاة ، فصرت انظر اليـه كاقدس الشعائر التي يجب ان يحتفظ بهـا احتفاظا شديدا وهـكذا اصبحت انظر الى كل شيء اسلامي بغير العين التي كنت انظر بهــا من قبل اليه ، واني مكبــة اليوم على تأليف كتاب في نصرة الحجـاب ، قد انتبهت اليه منذ ذلك اليوم ، ولا اكتمكم اني اصحبت اميل الى الاســلام ميلا شديدا ، وغير بعيد ان تسمعوا عني ان « فلانة » (تعني نفسها) قد اعتنقت الاسلام

***

وهذه امرأة مسلمة قد استطاعت على جهلها واميتها ان تهزم بدفاعها عن دينها امرأة مثقفة راقيــة كاتبة مستشرقة هي كل شيء عند نفسها ، وشيء عند الذين عرفوها وعرفوا فضلها وانصافها ، فلو ان جميع المسلمين والمسلمات يعتزون بالاسلام وينفحون عنه ، ويبشرون به ، ويدعــون الى سبيله ، إذن

يكونُ الدين كله لله ، وإذن لآمن من في الارض كلهم جميعا .

صديقي عمار

في الجزائر اليوم شباب ناهض ، مبارك يزكو كل يوم عدده ويزيد . وهذا الشباب فئتان : فئة قرأت العربية ، وتربت تربية اسلامية ، فقادتها (وهم قادة الامة) يسيرون بالامة في طريق الاصلاح الاسلامي ، وسموا أنفسهم جماعة « الاصلاح الديني » (1) وهذه الحركة الاصلاحية حديثة العهد ، لا ترجع في تاريخ انتشارها الا الى بضع سنوات . وفئة أخرى قرأت بالفرنسية ، وتربت تربية غير اسلامية ، حتى انها لا تعرف الاسلام ولا رجال الاسلام المشهورين الا من طريق اللغة الفرنسية . وأنت تعلم ما كتب أئمة هذه اللغة (الفرنسية) من الهزؤ بالاديان ، وبرجال الاديان فنشأت هذه الفئة من شباب الجزائر لا تعرف الاسلام ولا تحترمه ، ولا تعرف التاريخ الاسلامي ولا تعتز به ، بل ولا تعرف تاريخ الجزائر ، ولا

---

(1) وهم اليوم « جمعية العلماء المسلمين الجزائريين »

تاريخ اسلافها في الجزائر، فهي لاتنظر الى آبائها وأجدادها في هذه البلاد الكريمة الا كما ينظر اليهم الفرنسيون ورجال الاستعمار . وهؤلاء المستعمرون يعمدون الى كل مكرمة من مكارم الجزائر المسلمة ، فيمسخونها مسخا ، ولا يزالون بها حتى يخرجوها نقيصة يحطون بها من كرامة الجزائر، وعاراً يعيبون به آباءنا الجزائريين . فالرئيس «حميدو» القائدالبحري الجزائري المشهور — الذي أخضع دول أوروبا جميعها لبأس الجزائر وسلطانها حتى كان الاوربيون جميعا يؤدون للجزائر مغرماً سنويا ، وكانوا لايدخلون هـذا البحر المتوسط حتى يعطوا الجزية عن يدٍ —وهم صاغرون — هذاالقائدالبطل العربي الجزائري لا يعترف له المستعمرون بالشجاعة وشدة البأس ، بل يقلبون ذلك فيصفونه بانه قاطع طريق وبانه هو وأصحابه الابطال « قرصان » متوحشون .ويصفون«قرصان»الاوربيين الذين يعدون على الجزائر ظلماً وعدوانا ، بانهم أهل نجدة وبطولة . . . . وهكذا يمسخون كل فضيلة من فضائل الاسلام والعروبة في الجزائر

وبهذه اللبان نغذى ابناء الجزائر الذين تخرجوا في المدارس الافرنسية ، فهم لا يعرفون دينهم ، ولا يعرفون لغتهم ، ولا يعرفون تاريخهم الاسلامي ، ولا تاريخ آبائهم المسلمين .

ومع ذلك ، فان هذا التعليم الغربي لم يستطع ان ينتزع من هؤلاء الشبان المسلمين كل ما يريد أن ينتزع منهم ، وقد بقيت فيهم وطنية طبيعية كانت تذكو في نفوسهم ، وتتأجج في صدورهم ، وتطغى بهم من حين الى حين . وكان احتكاكهم بالافرنج وما يسومونهم به من سوء العذاب ، يزيد هذه الوطنية التهاباً وطغيانا . فيلتجئون الى كتب الفرنجة نفسها فيستخرجون منها بعض ما كان لابائهم من مكرمة وفخار ، وبعض ما كان للمسلمين في مشارق الارض ومغاربها من عزة وسلطان ، وبعض ما في دين الله (الاسلام) من الفضيلة ومكارم الاخلاق . ثم يعتزون بذلك ويفتخرون به اشد الافتخار .

من أجل ذلك ، فاني كثيرا ما أطمع في هؤلاء الشبان المسلمين أن يفيئوا الى أمر الله ، وأطمع فيهم ان يكونوا دعاة

يدعون الناس الى الاسلام ، ويبشـرون به بين الفرنسيين . وذلك يسير غير عسير ، اذا كان حملة الدين ورجال الاسلام لايبخلون على هوءلاء الشبان بامر من أمور الدين، يبينون لهم الاسلام بياناً صادقاً حتى يعرفوه حق المعرفة، وحتى يمكنهم أن يبينوه للناس على وجهه

عرفت كثيراً من هوءلاء الشبـان المسلمين ، فـكانوا يفرحون بي ، ويستغربون أن يروا بينهم رجـلاً من رجال الدين وعالماً من علماء الاسلام غير جامد ولا جاهل، ويستغربون — بفرح شديد — ان يروا رجلاً من المسلمين لا يعرف لغة غير اللغة العربية ، ثم هو فيهـا يعرف أكثر مما يعرفون هم في اللغة الفرنسية التي يظنونها لغة العالم كله . وكثيراً ماصارحني غير واحد منهم بانه اليوم فقط عرف ان العلم واحد في جميع اللغات ، وان الفـكر يستوي فيه سائر البشر .

وقد أتحدثُ إلى أكثرهم علماً وأدباً من أصحاب الشهادات العالية، فيستمع ويصغي الى كما يصغي الولد الصغير الذي لا يعلم شيئاً . ولاسيما اذا تحدثت اليه في أمر من أمور الاسلام

كنت عام م بالجزائر (العاصمة) و كان من رفاقي فيها الاستاذ مسعود سكفالي المحامي وهو مشهور بالغيرة على أبناء وطنه و كان مرجع الشباننا المتحمسين ، و عرفت عنده من هؤلاء الشبان شاباً مسلماً ما يزال يومئذ طالباً في السنة النهائية من كلية الحقوق ، وهو صغير ما يزال في الواحدة والعشرين من عمره . وقد تربى هذا الشاب في أحضان الكاثوليك في مدرسة من مدارسهم للمسيحية، و كان اسمه «عماراً» ، ولكن هؤلاء الكاثوليك قد سموه اسماً مسيحياً ، لا أذكره الآن

و كان هذا الشاب المسلم قد منعه أولياؤه الكاثوليك من مخالطة المسلمين والتحدث باللغة العربية ، حتى نسي أنه مسلم، وأنه عربي جزائري . ولكن اختلاطه بالاستاذ سكفالي وأمثاله من المسلمين الذين تخرجوا في الجامعة الفرنسية بالجزائر أو في غيرها من جامعات فرنسا ومن الشبان المسلمين الذين ما زالوا بها طلبة يتعلمون، ومعاشرته لهم قد نبه ذلك فيه وطنية كانت كامنة في قلبه، فعرف انه مسلم، وانه عربي جزائري وعرفته أنا وهو ما يزال يلبس القبعة، وما يزال عنده مطاعن المسيحيين وشبه

الملحدين التي يقذفون بها الاسلام · وعرفته وهو يعتقد أنها شبه ومطاعن ما عنده في ذلك شك · ولكنه يفتش على عالم مسلم ينزه له الاسلام عن هذه الشبه والمطاعن تنزيهاً واضحاً مفهوماً يقبله العقل، ويعترف به الذين يعلمون · وهو وان كان ناشئاً صغيرا ، فانه كاتب بليغ بلغة الفرنسيين ، يعرف قيمته ادباء هذه اللغة جميعا · وافضنا في هذه المطاعن وفي هذه الشبه ، ومن حسن الحظ ان كانت هذه المطاعن وهذه الشبه هي التي قذف بها الاسلام في مصر الدكتور طه حسين ، وسلامه موسى وغيرهما من الملاحدة ، المقلدين ، واعوان الاستعمار على تغريب شبابنا من اغراضه فكنت اطلعت عليها ، وعلى ما نشرته مجلة (الزهراء) و (الفتح) من تزييف تلك السخافات ، وعلى اكثر ما كتبه كاتب الشرق الاكبر الامير شكيب ارسلان ، وعلى اكثر ما كتبه الاديب الامام السيد مصطفى صادق الرافعي في هذا الباب ، واطلعت على غير ذلك · فقدمت الى ما عند صاحبنا من مطاعن على الاسلام ، فجعلتهن هباء منثورا · وكان ذلك

- لذلك - عليّ سهلا ميسورا . وقد أجبته بأجوبة أخرى ما عثرت عليها لاحد غيري . و كانت احاديثنا هذه في كل يوم صباح مساء ، وكانت عامة غير خاصة يحضرها كثير من قرنائه الشبان الجزائريين . وما هي الا بضعة ايام حتى خلع صاحبنا « عمار » قبعته من على رأسه ولبس طربوشا ، ثم مضى تواً الى الكاثوليك الذين كان في مدرستهم بين حجورهم ، وقال لهم : « جئت لاخبركم باني تركت دينكم ، وما تعبدون من دون الله ،واتبعت ملة آبائي المسلمين . فمنذ اليوم أصبحت مسلما لي ما للمسلمين، وعليّ ماعليهم ، واشهد أن لا إله الا اللهوان محمداً رسول الله ....» . و كانت احاديثنا هذه بذرة صالحة لمقالات ممتعة ، وفصول قيمة بليغة كتبها صاحبنا (عمار ..) ورفاقه الشبان باللغة الفرنسية في الدفاع عن الاسلام ، وفي الرد على لوي بيرتران واندريه سرفييه ، وهما من (كولون) الجزائر، ومن أشد أعداء الاسلام في العالم كله . ولكنهما لم يتقولا على الاسلام اكثر مما قرأناه للدكتور طه حسين وسلامه موسى وغيرهما من ادعياء التجديد في بلاد الشرق . غير أن هوءلاء

الشبان قد استطاعوا بما عندهم من الحق والعلم وسحر البيان ان يقنعوا كثيراً من الفرنسيين ببطلان ما يدعيه اعداء الاسلام حتى ان اندريه سرفييه كف عن الكيد للاسلام ، وهذا عن المسلمين ، بل أصبح يكتب ما هو بالانتصار للاسلام اشبه منه بالكيد له والافتراء عليه ، وهو الذي كان منذ بضع سنوات سوّد صحائف (كتابا) بشتم محمد ﷺ وبالافتراء على الاسلام . ولو اننا اسسنا في الجزائر معهداً اسلاميا يزود هؤلاء الشبان بالمعلومات الكافية ، ويعرفهم بكل ما يجب ان يعرفوه عن الاسلام باسلوب جميل ، لكانوا نصروا الاسلام باقلامهم ، ولكتبوا عنه يومئذ ما فيه بلاغ مبين

طلبة أفريقيا الشمالية

في سنة ١٩١٩ تأسست في عاصمة الجزائر جمعية اسلامية باسم (الجمعية الودادية لطلبة افريقية الشمالية)، والغرض منها اعانة الطلبة المسلمين الذين ما زالوا يتعلمون في الجامعات الفرنسية بالجزائر وفرنسا اعانة مادية وادبية ، أسسها شبان الجزائر المسلمون الذين حاولوا ان ينضموا الى الجمعية الفرنسية التي اسسها قبل ذلك

الشبان الفرنسيون، واشترطوا في قانونها الاساسي ان لا يدخلها عليهم طالب مسلم إلا ان يتفرنس، فكبر على شبساننا ان يروا هذه الجمعية مباحة للطلبة الفرنسيين والاسبان واليهود وغيرهم ومحرّمة على المسلمين، فايقظ هذا التعصب الاوربي حمية اسلامية في صدور شباب الجزائر المسلمة، فجعلوا لانفسهم جمعية، كما لزملائهم جمعية، وقد اقبل الناس عليها اقبالا كثيرا، بعث فيها النشاط والحياة. وكان عدد الطلبة المسلمين قليلاً جداً في جامعة الجزائر، واليوم اصبح بفضل هذه الجمعية عدداً غير قليل... وهو في كل يوم يزكو ويزيد

واطلعت على قانون هذه الجمعية فاذا هو يحتفظ بما في الجزائر من قومية ودين، ويحتفظ بذلك احتفاظا شديدا: فرجوت انا لهذه الجمعية المباركة ان تكون مسلمة خالصة لا شية فيها، تُربّي شباب الجزائر، وتعلمهم الكتابَ والحكمة، وتزكيهم وتنشر فيهم خلق القرآن الكريم. ورجوت لها بعد ان تبشر بالاسلام، وتدعو الى سبيل المؤمنين

وكان اكثر هؤلاء الشبان اصدقائي ومعارفي، فاجتمعت

بكثير منهم،وفاوضتُهم في هذا الامر ، واقترحتُ عليهم أن يتخذوا لجمعيتهم نادياً اسلامياً نلقى فيه المحاضرات عن الاسلام وعن عظماء الاسلام ، باللغة العربية وبالفرنسية . . .

وقمتُ فيهم بمحادثات كثيرة ، وألقيت عليهم عدة محاضرات ، حتى أقنعتهم بان اتخاذ هذا النادي الاسلامي أمر واجب على هذه الجمعية مفروض لا بد منه

وكنا قررنا كل شيء ، وعينوني محاضراً بالعربية ، على ان نترجم محاضراتي كلها الى الفرنسية . فاقترحت انا عليهم أن يعينوا الاستاذ الشيخ عمر راسم محاضراً بالفرنسية ، فانه رجل من أبرّ الناس بالاسلام ، ومن اكثرهم علماً به ، وانا لست أعرف عن الاسلام اكثر مما يعرف الاستاذ راسم . وقدفسر الجزء الاول من القرآن الكريم تفسيراً اذا انت قرأته عرفت ان العلم موهبة يهبها الله من يشاء من عباده . وهو يعد من قادة الفكر في الجزائر ، جاهد في سبيل الجزائر المسلمة ، وأوذى في الله ، ودخل السجن ، ولبث فيه سبع سنين . وهو أول رجل في الجزائر (فيما نعلم) حارب التفرنج والالحاد بما كتبه بلغة

القرآن ،وبلغة الفرنسيس . فاستبشروا بهذا الاقتراح و كاديتم كل شيء ، ولكن الاشياء مرهونة باوقاتها ، فسافر من الجزائر بعض من كان الامل معقوداً بهم في نجاح هذا المشروع، وسافرت انا ايضاً من غير ان احادث الاستاذ الشيخ عمر راسم في هذا الموضوع

وقد كاتبني اليوم بعض اولئك الاصدقاء في هذا الشأن، وطلب إليّ (بعد ما انتهى من الطلب والدراسة الى الحيـاة العملية) ان اعيد عليه تلك المحادثات . وراجعني فيها وألح في المراجعة ، حتى ذكرني با كثرها من بعد ما نسيت

وفي الحق ان هذه المحادثات كانت كلها نقضا و تزييفاً لما في ايدي اعداء الاسلام من مطاعن ومفتريات حتى استطاعوا ان يخدعوا بها كثيراً من شبـاب الجزائر عن دينه الحق ، لانهم كانوا يلبسون على ابنائنا الحق بالباطل ، ويخرجون لهم الـكذب الحبريت في صورة الواقع الذي لا ريب فيه ، و يزعمون ان ما ينتهون اليه انمـا هو ثمرة البحث العلمي الذي لا يتعصب ولا يحابي ! وأهم هذه المطاعن والمفتريات جاء في محاضرة حاضرنا

بها احد هوءلاء الشبان المغرورين في بهو من ابهاء الجزائر التي اعدت للاجتماعات والمحاضرات

وخلاصة محادثاتي انها جاءت في المحاضرة التي حاضرتهم بها جوابا عن محاضرة ذلك الشاب المغرور في تلك الليلة وفي التي تليها

قام صاحبنا فما حمد الله ولا اثنى عليه، بل حمد الحاضرين واثنى عليهم، وفرح بي وشكر لي ان حضرت هذا الاجتماع الذي لايحضره عادة علماء الاسلام (يعني الفقهاء الذين مازالوا يفضلون البقاء في ظلمات الجمود ! ثم قال : ومن جمود هوءلاء « الفقهاء » ايها السادة ؟ انهم يوءمنون ايمانا جازما ان محمداً ﷺ امي لايقرأ ولا يكتب وذلك ليكون القرآن من عندالله لا من عمل محمد ﷺ. ونحن نعتقد ان محمداً ﷺ كان يقرأ ويدرس الكتب القديمة، ونعتقد ان القرآن كان من عمله هو، وما أنزل الله على بشر من شيء

ثم قال : وينبغي لنا ان ننبذ التعصب الديني ظهريا، فلا نترك — تعصباً — هذه الحضارة الغربية اللامعة، وما فيها من

زخرف وزينة ، الى حضـارة قديمة يقال أنهـا كانت لابائنا القدماء المسلمين · فلنتمسك بهذه الحضارة الغربية المغربة ، ثم أن وافقت حضارة الاسلام القديمة فذلك ما كنا نبغي ، وان خالفتها فحاجتنا لى حضارة عاجلة هي زينة الحياة الدنيا ، لا إلى حضارة إسلامية غابرة نجهلها ولا نعرفها · ثم تكلم عن حركة التجديد المتحركة في مصر وفي بلاد الشرق ، وتمنى لها أن ينتصر السفور فيها على الحجاب ، ثم استنهض الى تحرير المسلمة الجزائرية حتى نكون كالمرأة الفرنسية حرية وسفورا

وأخيراً طلب إلي أن أقول كلمتي في هذا الامر ، وكان يحسبني سأصادق على ماقال · ولكني نهضت فنقضت أقاويله هذه نقضاً حتى لم أبق منهـا على شيء ، وحتى اقتنع الناس ببطلان تلك المفتريات ، بل هو نفسه قد اقتنع وسلم تسليما

وجملة ما قلته يومئذ : ان قادة الفكر في الجزائر أيها الاخوان فريقان : فريق متفرنج متخرج في المدارس الفرنسية ، يحتقر أمته ، ولا يحترم دينها ولا عوائدها ولا تاريخها ، وكل ما يقدمه لها أنه يرميها بالجهل والجمود · وفريق آخر من «الفقهاء»

يحذّرون الامة من هؤلاء المتفرنجين ، ويصمونهم بالكفر والمروق من الاسلام . وهكذا ضل هؤلاء الفريقان دهراً طويلاً ، ما يكلم احدٌ منهم أحداً ، ولا يؤم الرجلُ منهم أخاه ، ولا فكروا في تكوين وحدة إسلامية تنتفع بها امة الجزائر . حتي بعث الله هذه الفئة المباركة من شبان الجزائر ، وهي جماعة « الاصلاح الديني » فجعلت دستورها القرآن الكريم الذي هو خير جامعة تجمع اشتات الجزائر المتناثرة . وقد وفقت إلى أن تحطم بالقرآن العظيم كثيراً مما لصق بالاسلام من خرافات واضاليل ، وهي ترجو أن يهيء الله لها من امرها رشدا ، فيرجع بالمسلمين الي الدين الخالص ، والاسلام الصحيح ، ويخرجهم من الظلمات الى النور . وترجو كذلك أن توَفَّق إلى أن تهدي بالقرآن العظيم ابناءنا المتفرنجين الذين ضلوا صراط الله المستقيم ، فحسبوا ان الاسلام انما هو ما يعمه فيه جهلةُ المسلمين من الجهل والضلال . فكان ذلك عوناً للاستعمار على أن يحتل عقول ابنائنا ، ويبث فيهم الزيغ والتفرنج ، ولو أن أبناءنا اهتدوا بهدي النبي محمد

ﷺ وتخلقوا بخلق القرآن ، لما غلبنا الاستعمار على أفئدتهم وأسماعهم وابصارهم حتى صاروا ولهم قلوب لا يفقهون بها الا ما يرضي الاستعمار ، ولهم آذانٌ لا يسمعون بها الا ما يرضي الاستعمار ، ولهم أعينٌ لا يبصرون بها الا ما يرضي الاستعمار

أن الاستعمار أيها السادة يقول : ما منع المسلمين أن يندمجوا فينا الا القرآن الذي جعلهم يندمجون في الاتراك ويرضون بهم سادة حاكمين عليهم . ولذلك فان في رجال الاستعمار من يحاربون القرآن ، ويصدون عن سبيل الله ، حتى لا يكون هناك دين يمنع المسلمين ان ينسوا أنفسهم ، ويتهافتوا على التفرنج والاندماج ، ويومئذ لا تكون فتنة ، ويكون الامر كله للاستعمار (لا قدّر الله) .

ويحارب الاستعمار القرآن أيها السادة بهذه المدارس التي ينشرها في سائر بلاد الاسلام ، يفترى فيها على الله الكذب ، ويتقول فيها على الاسلام الاقاويل ، فيزعم أن القرآن من عمل الرسول ﷺ لا من عند الله ، لكي يهوّن من أهمية هذا الكتاب العظيم ، ويزعم أن محمداً « ﷺ » كان يعرف

القراءة والكتابة ، ويدرس الكتب القديمة ، لكي يصح أن يكون هو الذي عمل القرآن

وهذه أيها السادة مفتريات قد افتراها العرب المشركون في عهد النبي (ﷺ) من قبل ان تتمضمض بها السنة هؤلاء المستعمرين . وقد دحضها القرآن وزيفها تزييفا

ومع اني قد أعددت محادثة ألممت فيها بهذا الموضوع من جميع نواحيه ، وسأطلب اليكم أيها السادة ان تستمعوا لها في ليلة قادمة ، فاني أقول الآن :

أن القرآن الكريم ، أيها السادة ، وان كان المنطق الانساني يقصر عن وصفه ، وعن الاحاطة بكماله ، الذي لا يحد ولا ينتهى ، فان من يتدبر – ولو قليلا – يعلم انه منزل من الله ما فيه من شك ، وانه ما يقدر عليه من أحد غير الله

يتناول القرآن ما يسمونه(الفلسفة الالهية)أو«الالهيات» ونسميه نحن «غيب السموات والارض » فيذكر لنا من ذلك ما يمكن ان نؤمن به الفطرة البشرية كلها ، أو ما يجب على الفطرة البشرية كلها ان تؤمن به ايمانا فيه الرضى ،

وفيه الهدوء والاطمئنان . وما لم يذكره القرآن في هذا الباب أيها السادة ، فهو فوق ما نتناوله هذه الفطرة البشرية ، والناس قد اختلفوا فيه اختلافاً كثيرا ، ولا يزالون فيه ابد الدهر مختلفين لا يتفقون ، ثم هم لا يهتدون فيه الى شئ من اليقين . ان هم الا يظنون ، وان الظن لا يغنى من الحق شيئا

والمت' المامة مجملة بقواعد التشريع ، وأحوال الحكم في القرآن . ثم قلت :

ويتناول القرآن اصلاح هذه الانسانية من ناحية التربية والتهذيب فيضع لها المثل الاعلى للفضيلة والخلق الكريم . ويدعوك القرآن الى هذا المثل الاعلى من الفضيلة والخلق الكريم ، ويشوقك اليه ، ويغريك به اغراء كثيرا ، حتى يصل بك — اذا انت تخلقت بخلقه — الى اقصى ما يمكن ان يصل اليه امرؤ من الكمال . وليس في الكلام ماترى فيه الفضيلة رائعة مغرية على اتم ماتكون فتنة وجمالا ، ويريك الرذيلة قبيحة شوهاء على اشد ما تكون قبحاً وبشاعة ، مثل كلام الله الذي يعلم ما تكن الانفس ، وما تخفي الصدور .

ولو ان هذه الانسانية قد توقفت الى أن نتربي بتربية القرآن ، وتتأدب بآدابه ، لاستراحت مما هي فيه من إثم وفساد ، ومما تعانيه من شرور وموبقات

ثم ذكرت لهم عدة آيات كريمة تنطق بالحق ، وتشهد بما أقول ثم قلت: هل لكم ياسادتي أن تقرؤا بانفسكم بعض سور من القرآن فتعلموا يقينا أن هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم ، وأنه تنزيل العزيز الحكيم ، لا من عمل الرسول صلى الله عليه وسلم .

ولو أن هذا القرآن كان من عند رسول الله ، لكان حقيقا ان ينسبه (ﷺ) الى نفسه ، لا الى الله .

وبسطت هذا الموضوع بسطا اقتنع به الحاضرون .

وانتقلت منه الى الامية التي كانت شائعة يومئذ بين العرب أجمعين . وانبت لهم بالشواهد التاريخيه التي لا تقبل مناقشة ولا جدالا أن رسول الله (ﷺ) كان اميا لا يقرأ ولا يكتب .

وبعد ذلك قلت : وهب ان رسول الله « ﷺ » كان يعرف الحروف الهجائية العربية ، ويقرؤها ويكتبها ، فما هي هاته

الحروف ؟ هي بلا شك تلك الحروف التي كانت يومئذ في اول نشأتها ، يلتبس فيها كل حرف بكل حرف ، ولا يتبين فيها شيء من شيء . ولا يمكن بحال أن تكون حروفا تكتب بها كتب ، وتدون بها دواوين

وأين هذه (الكتب القديمة) التي يزعمون أنها كانت مكتوبة بالحروف العربية ، ويزعمون ان رسول الله « ﷺ » كان يقرؤها ويدرسها ؟ . . وما هي أسماء هذه الكتب ؟ ومن هم الذين الفوها ؟ وهل كانت في بلاد العرب جامعات علمية تدرس باللغة العربية ، وتكتب بالحروف العربية ، حتى يمكن أن يقال ان النبي « ﷺ » تعلم فيها الكتاب والحكمة . وهاته العلوم التي ذكرها الله في القرآن العظيم؟ ويح هؤلاء القوم المستعمرين ! يقولون ان الابجدية العربية على حالتها الحاضرة اليوم قاصرة لا تفي بالمراد ، ولا تماشي علوم العصر ولا آدابه ثم يزعمون ان العرب في الجاهلية كانوا أولي علم وفلسفة و كتب قديمة مكتوبة بالحروف العربية التي وفت لهم بكل ما كان عندهم من حكمة وأدب! فهل معني هذا

ان الابجدية العربية كانت في الجاهلية أرقى منها في هذا العهد الاخير ؟ ! « قاتلهم الله أنى يؤفكون »

ولو كنت أعجب من شيء في هذه الحياة لعجبت من أمركم أنتم أيها الاخوان ، انتم مسلمون ،وآباؤكم مسلمون، لاترضون اذا وصفتم بغير الاسلام ، ومع ذلكم فانكم لاتعرفون شيئا عن الاسلام الا ماجاءكم عن طريق أعدائه ، أفمن أعداء الاسلام تتعلمون الاسلام ؟

أليس في استطاعة أدناكم علماً بالاسلام أن يأخذ الاسلام عن ابويه أو ذوي قرباه ، أو عن أي مسلم آخر ؟ فان هؤلاء العامة من المسلمين – مهما بلغوا في الجهل – فانهم أحق من الاجانب وأجدر أن يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله. إنه ليس من عجب ياسادتي اعجب من أمركم هذا !

* * *

تقول ياسيدي فلان (اعني المحاضر) « ينبغي لنا أن ننبذ التعصب الديني (الاسلامي) ظهريا ، فلا يحملنا التعصب على ترك هذه الحضارة الغربية اللامعة ، الى حضارة اسلامية بقال

انها كانت في القديم لابائنا المسلمين ٠٠٠ » وهذا هو نفس ما يقول الاستعمار (كما قدمته لكم آنفا) الذي يريد أن يرزأنا في كل شيء ، يريد ان يرزأنا في قوميتنا وأن يرزأنا في ديننا ، حتى لا يكون هنالك عندنا مايعصمنا من أن يلتهمنا الاستعمار التهاما ، ويأكلنا أكلا لما ، فنندمج فيه يومئذ اندماجا لايبقى منا معه شيء ، فاذا نبذنا هذا التعصب الديني ، أعني اذا تركنا ديننا ونبذناه ظهريا وانسلخنا من عوائدنا وأخلاقنا ، وأنكرنا كل صلة تربطنا بابائنا الاولين ، ثم تهافتنا على هذه الحضارة الغربية ، فتفرنجنا واندمجنا ، وأسرفنا في التفرنج والاندماج ، حتى يغمر التفرنج والاندماج منا كل شيء ، وحتى لاتكون علينا سمة من سمات الاسلام ، وحتى لا يبقى عندنا ما يصح أن نتسمى به مسلمين ، فهل نكون يومئذ بعدما خرجنا من ذاتيتنا ، ومسخنا عن أنفسنا ، قد تمدنا وترقينا ؟ وهل يعترف العالم الغربي يومئذ بان لنا في هذه الحياة مركزا ممتازا ؟

والجواب أننا لامحالة نصير يومئذ الى الموت والاضمحلال

وبئس المصير

والشيء السخيف ، المضحك، أيها السادة ، هذه الدعاية التي تدعونا الى ان نترك حضـارة ابائنا المسلمين ، الى هـذه الحضارة الغربية اللامعة ... فان مثلنا – اذا فعلنا ذلك وانخدعنا – مثل من لايعجبه ابوه الذي ولده ، فيتركه ، ويتخذلنفسه أباً اخر لامعاً جميلا ! أروني أيها السادة رجلاً واحداً يستطيع أن يخرج عن الطبيعة ، فيرضي بأبيه بديلا ، او قل فيرضى ان يكون أبنا لا أب له فالذين يدعوننا الى ترك حضارة ابائنا انما يدعوننا الى أن نعلن على الملأ : اننا مالنا من اباء

يعجبني منكم ايها السادة ذلكم الشاب الذي استعار اسم « كامل بن سراج » حين يقول : « .. وهل من مصلحة العالم ان يكون كله اوربو ياً غربياً ؟ وقد استبدلت اليابان منازل باريس بمنازل اليابان الخشبية ، ولكن هل اغناها ذلك من الزلازل شيئاً ؟ ... » يقول هذا ردا على لويس بيرتران الذي يقول : « .. الشرق مريض بالتعصب الديني الذي يحرمه من الحضارة الغربية ، ومن الاندماج في الغرب .. »

وانا أرجو لكم أيها الشبان ان تكونوا كلكم مثل هذا الشاب الذي تعرفونه وان كان يستعير اسم (ابن سراج) وكلكم تعجبون به اعجاباً كثيرا ، وتقدمونه عليكم اماماً وزعيما ساذتي واخواني ، ان في هذه الحياة الغربية زينة ولمعانا وان فيها الحبائل وخدائع « فلا تغرنكم الحياة الدنيا ، ولا يغرنّكم بالله الغرور » ولا يفتننكم شياطين الاستعمار ، فيفسدوا عليكم دينكم ، ويخرجوكم من كل مابقي لديكم من شرف واستقامة ، كما اخرجوكم من ديار كم واموالكم بغير حق .

وليس في التعصب اكبر مقتاً من تعصب هؤلاء الغربيين ، فهم يعرفون الحق كما يعرفون أبناءهم « وان فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون » يعلمون ان من الحق ان نحتفظ بكرامتنا وبقوميتنا وبديننا ، ولكنهم لتعصبهم الغربي يعدّون ذلك علينا « تعصباً دينياً ممقوتا » .

أخبرني احد أصدقائي أنه كان عرف أحد الصحفيين الفرنسيس في مدينة بسكرة الجميلة ، وان هذا الصحفي أعجبته بسكرة هذه بحسنها وجمالها ، فأقام فيها دهراً طويلا ، عاشر فيه

المسلمين ، وعرف أخلاقهم وعوائدهم ، فأعجبه مارأى فيهم من فطرة سليمة ، وخلق كريم . وعلّل ذلك بان هوءلاء المسلمين (في بسكرة) وان كان أكثرهم من العامة البسطاء فانهم مازالوا على الفطرة الاسلامية ، فهذه الاخلاق الكريمة الباقية فيهم هي من فضيلة الاسلام التي مازالت بعيدة عن مساويء هذه الحضارة الغربية الآثمة

قال صديقي الراوي : وزارني هذا الصحفي مرة في يوم قائظ شديد الحر ، لايزور فيه المرء ولا يزار . قال : فحياني بتحية الاسلام، فرددت عليه بأحسن منها ،ثم قال لي : يافلان، أتدري فيم أتيتك في هذه الساعة ؟ قلت الله أعلم قال : القلق واضطراب البال هما اللذان حملاني على أن أزروك الان. قلت : وهل حدث مكروه ؟ قال لا ، ولكني رجل قد مللت حياة العزوبة والانفراد ، وأصبحت أشعر بالحاجة الى زوج صالحة أسكن اليها ، وتخفف عن كاهلي اعباء هذه الحياة، وتهوّن علي همومها واحزانها وتقاسمني حلو الحياة ومرها ، وسراءها وضراءها . وقد نظرت في هذا الامر ، وقلبته على كل

وجه ، فاذا الزواج عسير على غير يسير . فهؤلاء النساء الاوربيات السافرات وان كن متأنقات متمدنات فهن انما يصلحن للهو واللعب ، وقليل منهن (ان لم أقل ليس فيهن) من تصلح ان تتخذها حرماً مصونا

قال الراوي: فقلت انكم تشكون نساءكم، ونحن نشكو نساءنا وجهلهن . وانتم تشكون السفور ، ونحن نشكو الحجاب فقال : قولوا الحمد لله على نعمة الاسلام ، وما بثه بينكم من خلق متين ، وقولوا «الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله» . فالمسلمات قد ادبهن الاسلام ، فاذا هن حور مقصورات في الخيام ، قاصرات الطرف على بعولتهن ، طائعات لازواجهن ، لا يعصينهم في معروف ، مقتنعات بالقليل الذي قسم الله لهن ، مكنونات في خدورهن ، غير متبرجات بزينة، حافظات للغيب بما حفظ الله . فماذا تريدون من نسائكم المسلمات ، بعد هذه الصفات الفاضلة ؟ هل تريدون ان تعلموهن في هذه المدارس الفرنسية ، فلا يتعلمن فيها بدل حسن الخلق الا التمرد والعصيان ، والا التفنن في الشهوات الى حد من

الاستهتار بعيد ، والا الاسـراف في النفقات على الاحذية وطلائها ، وعلى الجوارب والمساحيق حتى يعجز ازواجهن او آباؤهن عن تسديد نفقاتهن ، وحتى لايكفيهن من النفقة قليل ولا كثير ؟

اياكم — أيها المسلمون ، ان تغتروا با كاذيب هؤلاء الغربيين الذين لم يعترفوا من شدة تعصبهم بكرامة المسلمة ولم يقدروها حق قدرها . فهم يُسمون حجابها سجناً ، وحياءها جموداً ، وطاعتها لزوجها حيوانية وجهلا . ومن تعصبنا نحن الغربيين اننا لانسمح لانفسنا ان ننتقد ما عليه مجتمعنا من نقص وفساد ، بل بلغ بنا الرضى عن انفسنا اننا نسمي استهتارنا حرية واسرافنا في امرنا تنفيذ ارادة ، وهكذا نستر عيوبنا وضعفنا تحت لمعان الالفاظ ، وخداع العناوين

قال الراوي : ثم قال لي هذا الصحفي الفاضل :

— هل تدري يافلان لماذا أتيت الى بسكرة ؟

قلت : — لاأدري

قال : جئت مندوبا من بعض كبريات الصحف بباريس ،

لاضع لها « رواية » عن العائلة الاسلامية تنشرها تباعا ·
وتاخذ منها خلاصة تمنحها دور السينما (الصور المتحركه) ،
وكانت هذه الجريدة تنتظر مني ، وكان الناس ينتظرون
مني ، ان أضع روايتي هذه ، وأصور فيها العائلة المسلمة او
بالحري المرأة المسلمة على اشد مايمكن أن تكون توحشاً وانحطاطا
ولكني بحثت هذا المجتمع الاسلامي فوجدته طاهراً بسيطا ،
لم يتشوه بالحضارة الغربية ، وآثامها · ففاوضتُ الجريدة
وراجعتها في موضوع الرواية وأسلوبها فرضيتْ ، ولكن على
شرط لم أرضَ به أنا

بحثت عن الاسلام في هذه العائلة الاسلامية الطاهرة
الخالصة فاذا هو دين الحق الذي يجب على منَ في الارض ان
يؤمنوا له كلهم جميعا · واحببت ان اسلم وجهي للذي فطر
السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين ، واحببت ان
أذيع اسلامي بين الناس ، وأحببت يومئذ ان اتزوج بامرأة
مسلمة مؤمنة ، ولكني خشيت ان يزدريني هولاء الغربيون
المتعصبون الفضوليون

لو كنت من مطلق الناس ودهمائهم لاسلمت ولسعدت باسلامى ، ولكني صحفي يعرفني جميع الناس ويهتمون مني بكل صغـــيرة و كبيرة ، فاذا أعلنت إسلامى فسيمطروني وابلا من الشتائم ، وسيصورونني صوراً هزلية لاذعة ، مرة تذهب بكل مالي من صبر واحتمال

قال الراوي : ثم قال لي : هل تدري ماذا أريـــد منك الآ ن ؟

فقلت : لاأدري ، ولكني انشرف بان أكون طوع إشــارتك

فقال : أريد منك أن تفتيني أو ان تستفتى لي احد علماء الدين (الاســلامى) في رَجل يوءمن بالله واليوم الاخر ، ويهتدي بهدى محمد ﷺ ثم يكون كذلك في خاصة نفسه ، لايهيج على نفسه فضول الناس ولانعصبهم . فهل يكون عليه من سبيل وهل يقبل الله منه عدلا او صرفا . . .

فقلت له : إن الله أرحم وأكرم من أن لايقبل من رجل ، موءمن يكتم ايمانه

فقال : فاشهد لي اذن بانى « أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله » . وبأني من المسلمين

* * *

سادتى ، هل رأيتم تعصباً أشد مقتا من تعصب هؤلاء القوم ؟ وهذا رجل صحفى آمن بالله وبرسوله ، و كتم ايمانه مخافة أن ينال منه قومه ، ويصموه بالتأخر والتدين ، تعصباً منهم وفضولا . يصموننا بالتعصب اذا نحن استمسكنا بديننا ، واحتفظنا بما عندنا من طربوش وعمامة ، ولكنك اذا رجوت من أكثر فلاسفتهم حرية فكر وإرادة أن ينتزع قبعته من على رأسه ويضع مكانها عمامة أو طربوشاً ، فلا تراه الا محتفظاً بقبعته ويعتز بها اعتزازا .

واذا كان الغربي المستعمر لا يعجبه ان يرى على رأسي طربوشاً ، أو يستقبح منظر عمامتي ، فهل ألام أنا اذا هو لبس قبعة سوداء أن أراها على رأسه غراباً أقبح ما يكون شؤماً وسواداً ؟!

(وهنا ضحك الحاضرون ، واستغرقوا في الضحك ،

ونزع المتقبعون منهم قبعاتهم التي على رؤوسهم).

هُم يحتفظون بعوائدهم وقوميتهم ، ويعتزُّون بأنفسهم ، فلماذا لا نتعلم منهم - على الاقل - هـذه الخصلة ، فنحتفظ بديننا وقوميتنا ونعتز بأنفسنا ؟

وبماذا تريدون أن أستشهد لـكم على تعصب هؤلاء الناس ، بعد ما حرموا عليكم - وهم إخوانكم وزملاؤكم في طلب العلم - أن تدخلوا معهم في جمعيتهم التي أسسوها باسم (جمعية التلاميذ) فاضطررتم أنتم ان تؤسسوا جمعية لانفسكم ، ونعم ما فعلتم .

سادتي ، أريد أن اذكر لـكم في هذا المقام مسألة ينبغي لكل مسلم أن يهتم بها اهتماماً كبيرا ، وهي مسألة فيها شرح وبيان لما نحن فيه :

نرى كل يوم من هذه الجاليات الغربية في بلاد المغرب ناساً يدخلون في دين الله ، ويعتنقون الاسلام . حتى صاروا الآن عدة آلاف ، وهم كلّ يوم يزيدون والنساءُ منهم نحو ثمانين في المائة . وقد بحثت هذه المسألة واستقصيتها ، فانتهيت

الى أن الاسباب التي تحمل هوءلاء المسيحيين على اعتناق الاسلام ترجع في صميمها الى الدعاية الفعلية التي يقوم بها العامة المسلمون ضمناً من غير قصد منهم وذلك حين ما يذكرون دينهم على سبيل الفخر والاعتزاز فيؤثرون على من يستمع لهم من المسيحيين . وكانت المسيحيات اللاتي أسلمن أكثر عدداً من المسيحيين الذين أسلموا ، لانّ نساءنا المسلمات أكثر احتفاظاً بالاسلام من الرجال المسلمين ، وأشدّ منهم مناضلة عن دينهن وأخلاقهن وعوائدهن .

كنتُ مرّة ضيفاً عند احد أصدقائي في ضاحية من ضواحي الجزائر (العاصمة)، وإننا لنتحدّث بمثل هذا الحديث إذ سمعتُ امرأة من وراء حجاب تقول :

وأنا الاخرى كنت امرأة مسيحية ، ثم أسلمت بسبب من مثل ما تقول يا سيدي . كنت اشتريت ثوباً حريريا انيقا ، ولبسته ذات يوم من ايام الصيف ، وكانت لي جارة مسلمة فدخلتُ عليها في ذلك الثوب الجديد . وما هي الا أن رأتني ، ورأت اعضائي بادية ، ونهودي عارية ، حتي قامت

تؤنبني وتستقبح مني ان ألبسَ مثل هذا الثوب الذي لا تتبين به كاسية من عارية ! فأثرت نصيحتها في نفسي تأثيراً بليغا : فانتزعته منذ ذلك اليوم ، ثم لم ألبس بعده ثوبا قصيفاً خليعا ، واكتسيت من الاسلام ثوباً سابغًا عفيفا . فالحمد لله على الستر ، وراحة الخدر ...

فالمسلمة الجزائرية ـ أيها السادة ـ أصلح حالا من الرجل ، لانها ما زالت أبعد منه عن التفرنج .

وأخرى ، فان العامة المسلمين الذين يتزوجون بالاجنبيات يتمسكون بدينهم تمسكا حبب الاسلامَ إلى نسائهم ، وزينه في قلوبهن ، وكره اليهن الكفرَ والفسوق والعصيان ، ففررن إلى الله ، ودخلن في الاسلام . واكثر هؤلاء المسلمين الذين يتزوجون بالاجنبيات ، ويهدونهن إلى الاسلام هم من اهالي جبال زواوة الذين يذهبون الى فرنسا عملة كاسبين ، ويرجعون الى الجزائر متزوجين .

والحقيقة المرة أيها السادة بأنني لم أجد شخصا واحداً قد اهتدى الى الاسلام على يد شاب متنور منكم .

وأمرّ من ذلك وأدهى أننا نرى العامي المسلم يتزوج بالاجنبية ، فلم يزل بها يدعوها إلى الله ، حتى تسلم ويحسن إسلامها . واننا نرى الشاب المهذب من هؤلاء الذين تعلموا في مدارس الفرنجة يتزوج بالافرنجية ، فلم تزل هي به حتى يتفرنج ويكفر .

هذه حقيقة مرة مؤلمة ، ولكن يجب الاعتراف بها واعلانها بين الناس .

يجب أن يذع في القريب والبعيد أن هؤلاء الشبان المتنورين أصحاب الشهادات العلمية الاوربوية العالية الذين عقد الوطن بهم الأمل في أن يجلبوا اليه خيراً كثيرا ، قد ولوا الادبار ، واندمجوا في الفرنجة اندماجا ، على أيدي أزواجهم الاجنبيات ، على حين أن هؤلاء الاجنبيات يخرجن من الظلمات إلى النور على أيدي أزواجهن من العامة المسلمين ، فيعدن مسلمات مؤمنات صالحات .

ويجب علينا ـ أيها السادة ـ أن نعترف ونذيع في الناس أن سبب هذا الامر هو هذه المدارس الافرنجية التي أطفأت

في صــدور الشبان حبّ الاحتفاظ بالقومية ، وأضعفتْ في نفوسهم الشعور الاسلامي الذي يشعر به المسلمون .

على أن التزوج بالاجنبيات هو أمرٌ ضرره فادح جدًّا على القومية الاسلامية ، وليس فيه أدنى خير ، فالشبــان الذين يتزوّجون بالاجنبيات يتركون بنات اعمامهم بلا بعولة ولا ازواج يعولونهنّ ويقومون على ضرورياتهن ، وربمــا أدّاهن الفقر والحاجة إلى أن يصبحنَ خطراً على المجتمع الاسلامي وعلى ما فيه من الحشمة ومكارم الاخلاق .

ومــا من شابّ مسلم ترك بنت عمه المسلمة العربية المحتشمة وتزوج باجنبية من اللائي لا يعرفْنَ الحياء الا وقد ندم على زواجه من حيث لا ينفعه الندم ، وكان عاقبةُ أمره خُسرا ، ولم يـكن زَواجه موفقاً ولا سعيدا . وذلك لانه لا يـكاد يقضي ايام العرس الاولى حتى يجد بجانبه امرأة تزدريه ولا تحترمه ، ولا تعرف له قيمة أو اعتبارا ، وهي تحمل لجنسه العربي الـكراهية والبغض ، وتعتقد أن زواجها به هو عليهــا مُصابٌ عظيم ، وتعتقد أنها كانت تطلب فيه زوجا كريما

فوجدت فيه عبداً لئيما :

ويجد هو نفسه قد غلط وأخطأ التقدير فقد طلب فيها وردة نفوح وتعبق فإذا هي أفمى يلمو فحيحها وصريرها :

وما من فرنجية تزوجها شاب مسلم من هؤلاء وولدت منه ولداً إلا وتسمي أولادها بأسماء فرنجية غير عربية ثم لا يكبر هؤلاء إلا وهم فرنجة ليسوا عرباً ولا مسلمين :

وكان شاب مسلم عربي من هؤلاء - وهو طبيب - قد تزوج بأجنبية فولد لهما ولد ذكر فسماه أبوه « صالحا » وسمته أمه «موريس» فقال فيه كاتب الجزائر الفكه وشاعرها المبدع الاستاذ محمد الامين العمودي الكاتب العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين هذه الابيات الحلوة :

حبي الطبيب ولا تنس قرينته

فهو سليمان و« المدام» بلقيس

له غلام اطال الله مدته

تنازع العُرْب فيه والفرنسيس

لا تعذلوه اذا ماخان ملته فنصفه«صالح»والنصف«موريس»

وفي الحق ان هاته الابيات هي منطبقة على جميع هؤلاء الشبان المغرورين الذين يتركون قريباتهم العربيات ويتزوجون بالاجنبيات البعيدات .

كيف يتفرنج المتفرنجون من شباننا بعد إيمانهم وشهدوا ان الرسول حق ، وجاءهم البينات ؟ فان فعلوا ذلك ليرضى عنهم الاستعمار ، فالله ورسوله أحق أن يرضوه ان كانوا مؤمنين .

(وهنا هاج الحاضرون وصاحوا : لا نرضي الاستعمار . نرضي الله ورسوله . ليعل الاسلام ...)

* **

ونستبشر يا سيدي (المحاضر) بحركة التجديد في مصر ، وبلاد الشرق ، ونتمنى أن ينتصر فيها السفور على الحجاب ، ونستنهض الى الاخذ بيد المسلمة الجزائرية حتي تكون كالمرأة الفرنسية حرية وسفورا . وأحسبك ياسيدي نعني بكلمة حركة التجديد في الشرق تلك الحركة التي هي أحرى أن نسمى حركة « الالحاد والتقليد » منها أن نسمى حركة « تجديد » لان غايتها التفرنج والاندماج في الغرب اندماجا

تاماً بكل معني الكلمة . ويقوم بهـذه المشاغبة ناس تعلّم أكثرهم في مدارس أجنبية غير إسلامية أسّست لمثل هذه الغاية في الشرق . ثم خرجوا منها « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله الا أن يتمّ نوره » .

إنها إن تكن فتنة (الالحاد والتقليد) يقوم بهـا كثير من أعوان الاستعمار في الشرق ، فاننا لا نخاف منهـا خوفاً شديداً . لولا فتنة التجديد والالحاد هذه لما قام أعلام الادب العربي ورجال الاصلاح الاسلامي يجاهدون في الله حق جهاده ويقومون حقاً بحملة « الاصلاح والتجديد » مثل العلامة السيد رشيد رضا وأمير البيان الامير شكيب أرسلان ، والاديب الامام السيد مصطفى صادق الرافعي و . . . ورجال صـدقوا ما عاهـدوا الله عليه عرفناهم في « الزهراء » و « المنار » و « الفتح » المبين .

وكل هذه الجلبة التي نسمعها في الشرق (غير الجزائر) تحوم حول ما تكلم به آنفا سيدي (فلان) في هذه البلاد (الجزائر) . فالتجديد كلـه هو « تحرير » المرأة المسلمة

وسفورها ، أو قل هو كشف المرأة المسلمة وهتك سترها ، ثم ليس هنالك في « التجديد » شيء آخر غير هذا

الحجاب أيها السادة فريضة فرضها الله على أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين ، وقال في كتابه العزيز : (يانساء النبي ...... وقرن في بيوتكن ، ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى ... » ثم اقتدت المؤمنات بامهات المؤمنين، ثم أخذ الحجاب يفشو بين المسلمات على مقدار ما تستبحر الحضارة بين للسلمين . فالحجاب أثر من آثار التمدن الاسلامي ، بقي بايدينا تراثا عن آبائنا الاولين . فهل إذا أضعناه نكون قد أحسناً لاجدادنا ، وبررنا بهم برورا ، ام نكون أسأنا اليهم وعققنام عقوقا ؟

إن الحجاب أيها السادة هو فصلُ ما بين الرجل والمرأة لتنقطع هي الى منزلها تصلحه وتربي أولادها ، وينقطع هو الى العمل والاكتساب خارج البيت ثم ماذا تريدون من سفور المرأة المسلمة الجزائرية ؟ تقولون إنكم تريدون لها أن تخرج الى حياة العمل والجهاد . ولكن هل نسيتم أنكم في بلد

أكثر ابنائه في عطلة وبطالة ؟ فهل تريدون لنسائنا أن يعشن أيضا عاطلات متشردات ؟ يذرعن الطرقات جيئة وذهابا طول النهار وزلفا من الليل .

كتب كاتب مسلم في إحدى الصحف الافرنسية فصلا يدعو فيه المرأة المسلمة الى السفور ، فاجابته فتاة مسلمة في الصحيفة نفسها ، وسمّت نفسها « فاطمة الزهراء » جوابا حقا ، ما ينبغي لاحد بعده ان يدعو المسلمات إلى السفور . وتقول له في هذا الجواب : (. . ولا يعزب عن بالك ياسيدي اذا أنت دعوتنا إلى السفور أننا معشر المسلمات لا نفهم عنك الا أنك تدعونا الى أن نقضي نهارنا في البارات ، أو في الطرقات نفتش على أصحاب من الرجال نقودهم من أنوفهم الى المسارح والمراقص فنبيت نرقص حتى نتعب ونظمأ ، فاذا عطشنا عجنا بالبار (الحانة) نشرب ونستجمّ (نستريح) . ثم نعود كمثل ما كنا فيه ، « وهكذا ، دواليك . . . » هذا هو ما تفهمه المسلمة الجزائرية عنكم اذا أنتم دعوتموها الى السفور . فهل فهمتم انتم أيها الشبان ؟

إنه مهما بالغ دعاة السفور في دعوى أن العفة ليست في الحجاب ، فما هم بقادرين على أن ينكروا أن الحجاب هو أعون على العفاف ، وأنه هو أقرب للتقوى .

في أي جو من أجواء السفور تستطيعون أن تجدوا العفاف أيها السادة الاخوان ؟ أتجدونه في هذه الحضارة اللامعة التي تسيل خلاعة واستهتارا ؟ أم أين تجدونه الا حيث لا يكون سفور ؟ أو حيث لا يكون اختلاط بين الرجال والنساء !

ما أريد ان أنبّهكم يا سادتي الى هذه الملاعب والمراقص والملاهي والمسارح الحمراوات (جمع الحمراء) وما يكون فيهـا من إثم وغي . ولا الى هذه الروايات التي تمثّلها دور السينما (الصور المتحركة) فتمثل فيها الغواية والضلال ، تمثيلاً يغري الزوجة بالغدر والخيانة ، ويزيّن لها ذلك تزيينا وهل أكثر هذه الروايات التي يُسمّونها روايات حب وغرام الا روايات غدر وخيانة وإثم ، سُمّيت بغير أسمائها تلبيساً وتضليلا ، ودعاية الى الشرّ والفساد .

وإنما أريد أن أذكر لكم أنّ في الجنوب الجزائري

الشرقي (من عمالة قسنطينة) ولاية صغيرة ، اسمها : « سوف»
واسم قاعدتها « الوادي » وكلكم فيما أظن تعرفونها .
و « سوف » هذه هي من أكثر بلاد الله ديناً وصلاحا ، ومن
أكثر بلاد الله طهراً وعفافا . ومع ذلكم فان فيها مدينة
آهلة بما يناهز العشرين ألفاً من السكان اسمها : (كمار) . واختصت
(كمار) هذه من دون بلاد « سوف » كلها بسفور النساء
وتحريرهن ، حتى لا تتزوج فتاة في (كمار) الا بعد أن
تتعرف بخطيبها ، وتختار لنفسها الزوج الذي تريد ، على العادة
الجارية بين الفرنجة اليوم . مع أن أهالي (كمار) ما زالوا
على حالة بداوة وبساطة في كل أساليب العيش ، ولكن هل
في (كمار) حيث السفور ، واختلاط الرجال بالنساء تجد
العفاف الشديد الذى تجده فيما حولها من بلدان « سوف »
حواضرها وقراها ؟

ان « الوادي » و « البهيمة » و « الزكم » و « كوينين »
وغيرها من مدائن « سوف » وقراها من أشد بلاد الله تمسكاً
بالحجاب ، ومن أشد بلاد الله عفة واستقامة . « وكمار »

وحدها (وهي في وسط سوف ، وأهاليها سوافة) ترتكب فيها كبائر الاثم ، أو تقع فيها حوادث الحب والغرام (كما يقولون) وكان أعيان (كمار) وأهل الفضل فيها حجبوا النساء ، ومنعوهن من السفور ، والاختلاط بالرجال ، ولكنّ شيخ طريقة صوفية دعا بالشرّ على كل امرأة تبقى في خدرها ، ولعن كل فتاة تحتجب ، لعناً كثيراً ، فعاد النساء الى السفور وتركن الخدور .

وكذلكم جبل (آوراس) حيث السفور والاختلاط ، وجبل (العمور) ايضا .

فهذه الشواهد أيها السادة تدُلّ دلالة واضحة على أن السفور المختلط ـ بدوياً كان أو مدنيا ـ هو دون الحجاب من حيث الشرف والعفاف .

ينبغي أن تحتجب المرأة الدميمة فتستر على نفسها قبحها ودمامتها ، وينبغي أن تحتجب المرأة الجميلة حتى لا يفتتن بها الناس .

***

وختمت حديثي بهذه الكلمة :

سادتي ، هل أدُلُّكم على النجاة مما نحن فيه ؟ : تؤمنون بالله ورسوله ، وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ، وتتخذون لكم معهداً إسلامياً تتعلّمون فيه الاسلام ، وتدرسون فيه كتاب الله ، وسيرة رسول الله ﷺ . فان فعلتم فعسى أن تكونوا من المهتدين ، وان لم تفعلوا فلن تُفلِحوا إذن أبدا .

وما انتهيت من حديثي الى هنا حتى كاد القوم يطيرون فرحاً وسرورا .

في أحد متنزهات وهران

اجتمعت ذات يوم من أيام الصيف في العام الماضي ـ عند طبيب من أطباء العيون في مدينة وهران ـ بأحد الصحفيين الاسبان ، وتعارفنا هنالك ، وما هو إلا أن انصرفنا من عند الطبيب حتي ركبنا سيارة أجرة الى (روزفيل) أحسن متنزّهات وهران الصيفية ، وأجملها منظراً وخلاء . وانتبذنا

هنالك على ساحل البحر مكانًا قصيا ، وقضيناها ثمّتَ عشية ألذّ ما تكون أنسًا وصفاء ، وأحسن ما تكون سمرًا وحديثا .

وكان رفيقي الاسباني أديباً شاعراً باللغة الاسبانية ، فذكرْنا البحر ، وأقوالَ الشعراء فيه . فأنشدنا من أشعار الاسبان في وصف البحر ما هو حسن مقبول لا بأس به ، وما فيه نبوغ وإبداع حتى نكاد نحسبه عربيا مبينا . وطلب إليّ صاحبي أن أنشده شيئًا من أشعار العرب في هذا الموضوع ، فخانتني ذاكرتي ولم يحضرني شيء من أقوال شعرائنا في وصف البحر . غير أني تذكّرتُ أن عشية مثلَ هذه العشية كانت قد اتفقت لي في الجزائر (العاصمة) وان منظرها كان مثل هذا المنظر تمامًا . وتذكّرتُ أني كنتُ وصفتُ منظر البحر في تلك العشية ، بقصيدة أقول فيها :

ما كان أشهاها إليّ عشية

أمسيتها بجوانب (البلفار)

والبحرُ يكتنف الجزائر كالهلا

ل مقوّسا أو مثل عطف سوار

والريحُ فوقَ الماء تكتب أسطراً
ما كان أجملهن من أسطار
كتبتْ سطورَ الاعتبار لمن تَدَبـ
بّرها ، وموعظةً لذي استبصار
قد يقراء الناسُ الكتابة ، وهي لم
تك من يراعة كاتب أو قاري
ولقد يكون البحر رهواً هادئا
الا حراك تبعثر وعثار
فكأنه قفر الفلا : مرت به
غنم فلم نترك سوى الآثار
أو أنه رمل بقاع صفصف
جادته بالاحجار سود سواري
والموج كالثعبان يهجم بالسوا
حل هائجا ، لكن على الاحجار
وحجارةِ فوقَ العُباب نواتىء
كخيام حي ، خُيّمتْ بقفار

وفقاقع تبدو ككتّان بنا

ثفُه منشّرةٌ على الاشجار

وما انتهيتُ من إنشادي إلى هنا حتى كاد رفيقي يطير فرحاً وإعجابا بهذا الشعر ، وأخذه مني على نيّة أن يترجمه الى لغة الاسبان ، وتفضّل فأثنى على شعراء العرب ثناء لا يُحصى وسألني فجأة :

ـ ما هو الكتاب العربي الذي كان له أثر بليغ عميق في تكوين أدبك وشاعريتك ؟

فقلت له : القرآن الكريم

فقال : — القرآن ؟ .. إنه كتاب ديني .

فقلت : نعم ، إنه كتاب ديني ، وإنه في لغة العرب معجزة الفصاحة وسحر البيان . وذكرتُ له أنني منذ أيام اجتمعت بالدكتور جاك ساي العالم الفرنسي وأحد أطباء الحكومة في وهران ، وتحادثنا عن الادب العربي وعن قلة القصص فيه ، حتى أنّ الشعر العربي لم يتناول القصّة بالمرة ، فقلت له : إن سبب ذلك هو أن الادب العربي أدب واقعي حقيقي أكثر

مما هو خيالي . والذوق العربي نفسه يمجّ الخيال الذي لا يصوّر الحقيقة ولا الواقع . والقصة يضطر اليها الادب الخيالي أكثر مما يضطر اليها الادب العربي الذي أهم أغراضه أن يصف لك حقائق الحياة . فذكر الدكتور ساي أنه قرأ بحثاً لاحد العلماء المستشرقين يرى فيه مثل هذا الرأي ويقول : « إن الشاعر العربي أصدق شعراء الدنيا ، وأطبعهم ، وأكثرهم مطابقة للحقيقة والواقع . فاذا وصف لك خداً بانه كالورد ، فاعلم أن الأمر كذلك لا يتجاوزه ولا يعدوه » . فقاطعني رفيقي الاسباني وقال : وكذلك الشعر الذي قرأته الساعة في وصف البحر ، هو مطابق للواقع تماماً ، ولا سيما في نظر الذين يعرفون الصحراء وخيامها وآثار الغنم فيها » .

وعدت الى حكاية حديثي مع الدكتور ساي فقلت : وأفضى بنا الحديث الى القرآن الكريم ومكانته في الادب العربي ، فذكرت للدكتور شيئاً كثيراً مما كنت قرأته في كتاب « إعجـاز القرآن » للاستاذ الرافعي ، فسمع لي الدكتور ، وأصغى إليّ مغتبطاً مسرورا . ثم قلت له : أما

أنا فان القرآن هو الذي كوّن لي فكرة مستقلة ، وهو الذي ربّى فيَّ مَلَكة التميز التي أميّزُ بها الخبيث من الطيب ، والقبيحَ من الحسن ، والباطل من الصحيح . وأشهد أني كنتُ أقرأ كتابًا من كتب الادب فيجذبني اليه ، وأقرأ كتابًا آخر ضد الاول في الفكرة والاسلوب فيجذبني اليه أيضا ، و كنت أحسُّ بعقلي يذبذبُ بين الكتابين كالكرة التي تضطرب بين اللاعبين ، لا يستقر لها قرار ، حتى رجعت الى القرآن فثبت عقلي بعد ما كان يرجف ، واستقلَّ استقلالاً تاما ، واتخذ سبيله في الادب وغير الادب واضحاً مستقيما ، وأصبح يحكم على الاشياء بعد ما يعقلها ويفهمها فهماً صحيحاً لا ذبذبة فيه ولا اضطراب . وأصبحت أقرأ الكتاب من كتب الادب فأعرف فيه الحق من الباطل ، والزائف من الصواب ، فأسلّم له الرأي الصائب ، وأردّ عليه القول الزائف ، ولا أدَعُ صاحب الكتاب يتكلم وحده . (فضحك الدكتور إعجابا بهذه الكلمة) . ثم قلت : وما وجدت كتابا يصف النفس البشرية بما فيها من خير وشر ، ويصف هذا

المجتمع الانساني بما فيه من حسنات وسيئات مثلما يصفهما القرآن الحكيم . واستشهدت بآيات كريمة على صحة هذا القول . ثم قلت لرفيقي الاسباني : وهنا قال : قد كنت لا أعرف شيئاً عن الادب العربي، ولا أعرف هذا القرآن . وكنت معجبا بالحكيم ديكارت والعلامة باسكال ولا أكاد أعجب بشيء سواهما ، غير أني صرت الآن شديد الاعجاب بهذه الفلسفة الاجتماعية التي يصفها القرآن ، واني لا بد سأشتري في القريب العاجل مصحفا كريما ، وطائفة من التراجم والتفاسير أستعين بها على فهم القرآن .

فقلت له : ولا تنس يا دكتور أن القرآن لا يترجم .

قال : ولماذا ؟ قلت : ما من ترجمة للقرآن الا وفيها من الاغلاط السخيفة المضحكة ما لا يعد ولا يحصى . فترجمة فرنسية طبعتها الحكومة على نفقتها وتعتبر رسمية ترجمت قوله تعالى : (القارعة ما القارعة) بقولها : (القرعة ما القرعة !) وغير ذلك من المضحكات .

وأذكر أن وزارة الخارجية بباريس أدركت قصور هذه التراجم وفسادها ، فندبت عالماً فرنسياً ـ نسيت اسمه ـ وكلفته بوضع ترجمة للقرآن الكريم تكون غاية في المطابقة والاتقان . وباشر هو عمله هذا ، واستعان عليه بأعوان آخرين ، وأكب على ذلك أمداً طويلا ، ثم أخرج ترجمة لسورة الفاتحة ولآيات من سورة البقرة وقدمها بمقدمة قال فيها

« ... لاجل أن نفهم القرآن يجب علينا أن نقرأه في اللغة العربية نفسها ، لانه لا يمكن أن يترجَم بحال . وأسباب ذلك كثيرة ولكنها ترجع في أهميتها الى سببين اثنين :

أحدهما : في طبيعة اللغة الفرنسية ، والآخر في طبيعة اللغة العربية .

فأما الاول فهو أن اللغة الفرنسية لم تكن في يوم من أيام حياتها لغة دينية لا في « ذوقها » ولا في فصاحة أساليبها ، والقرآن كتاب دين . ولو أنّ الله أنزل كتاباً دينياً فرنسياً يكون المثل الأعلى للفصاحة في اللغة الفرنسية كما كان القرآن المثل الاعلى للفصاحة العربية ، لوسعنا اذن أن نقول : ان ترجمة

القرآن ترجمة صحيحة مطابقة وان كانت عسيرة فهي ممكنة على كل حال .

وأما السبب الثاني فهو أن في اللغة العربية ـ ولا سيما في القرآن ـ غنّة (أو نغمة موسيقية) يؤدى بها كثير من المعاني الرائعة الجميلة التي ربما كانت سبباً في أكثر ما في أسلوب القرآن من بلاغة وإعجاز . وهذه الغنّة لا تمكن ترجمتها أبداً . . »

فقال الدكتور ساي : هذا كلام صواب لا غُبار عليه ، وأمر واقع لا ريب فيه ، وحق أن هذا القرآن كتاب عظيم ، ولا ينبغي لاحد أن يتركه دون أن يدرسه . ولقد أغراني حديثك هذا بالقرآن وشوقني اليه ، وسأدرس القرآن وأتدبّره وأحسبه سيغيّر كثيراً من أفكاري وآرائي في الفلسفة والادب والاجتماع وقال : إني أتعجب من هؤلاء الغربيين الذين ملأوا الدنيا بأقوالهم عن القرآن ، كيف أعماهم ـ مع ذلك ـ التعصب المسيحي أو اللاديني ، ومنعهم من أن يتفقهوا بما في القرآن من هدى وحكمة وأرى أن حتماً واجباً على المسلمين أن يبشّروا البشرية

كلها بهذا القرآن الذي هو كتاب الانسانية كلهـا . وأرى أن في المسلمين كفاءة تامة للقيام ببيـان تعاليم الاسلام ، ونشرها بين الناس جميعا .

وما وصلت من حكاية حديثي الى هنا حتى قال رفيقي الاسباني: لقد صدق الدكتور ساي هذا ، وإني أيضاً سأشتري مصحفاً كريماً ، وأشتري طائفة من التراجم والتفاسير لاقتبس من نور القرآن الكريم ، وقد صرت من الان أحبه وأميل اليه

ثم قال (الاسباني) : ولكن أخبرني عن أدباء العربية في هذا العصر ، فهل هم كلهم ينظرون الى القرآن بمثل العين التي تنظر بها انت إليه ، ويرونه في الادب العربي بمكان الروح من الجسد ويعترفون بأنه هو مفخرة الفصاحة وسحر البيان ؟ فقلت له : إن ادباء العربية اليوم ينظرون الى القرآن بعين أنا قاصر أن أنظر اليه بها ، ومن أدباء النصارى العرب من لا يتردد في اعتقاد هذه المنزلة للقرآن . ولكن ناساً آخرين من ادبائنا ، قد تأدبوا بأدب غير عربي ، وتثقفوا بثقافة لا إسلامية ، ولا شرقية ، فأحدثوا جلبة في الصحف

والمجلات ، وثاروا على كل شيء شرقي قديم أدباً كان أو غير أدب ، وسمّوا انفسهم «مجددين» وأنصار « الجديد »وهؤلاء قد يمنعهم تعصبهم أو جهلهم عن النظر في القرآن وقدلايعرفون ما فيه من الاعجاز . هم ينكرون على الشرق كل ما فيه من شيء قديم ، والقرآن « القديم » هو المقصود بالذات من هذا الانكار . وقد أمعنوا في هذا الانكار ، وفي هذا الجحود ، حتى أنهم ليكادون ينكرون على الشرق أنه هومطلع الشمس المشرقة المنيرة .

على أن زعامة الادب اليوم هي رالحمد لله في أيدي الادباء الراشدين ، مثل الاديب الكبير السيد مصطفى صادق الرافعي ، وكاتب الشرق الاكبر الامير شكيب وأمير الشعراء الاستاذ شوقي بك ، والصحفي المجاهد السيد محب الدين الخطيب صاحب (الزهراء) و (الفتح)ومن الى هؤلاء الهادين المهتدين .

وعلى كل حال فان هؤلاء المجددين قد زادوا في ثروة اللغة العربية فنقلوا اليها كثيراً مما كان يحسن بأدبائنا أن يقرأوه في لغات أجنبية .

ولولا هؤلاء المجددون لما رأينا هذه الكتب القيمة الخالدة التي ألفها انصار الحق في الدعاية الى القرآن الكريم ، والى ما في الشرق من أدب وجمال ·

ان بعض هؤلاء المجددين في مصر ينادون جهرة بوجوب احياء الادب الفرعوني القديم وأدب الاغريق القديم واتخاذ أدب محلي في مصر ، ليستغنوا بذلك عن الادب العربي ، وفي الحق أن هذا ليس خدمة لمصر ، وإنما هو اسقاط لزعامة مصر على العرب كلها ، وعلى شعوب الاسلام قاطبة · فان المسلمين وسائر العرب يرون في مصر إماماً لهم في الادب العربي ، والثقافة الاسلامية ، لا في أدب الفراعنة ، ولا في أدب الاغريق ولا في أدب محلي في مصر حديث

قال صاحبي الاسباني : هل في ملوك المسلمين اليوم من ينصر هذا القرآن عملياً ، ويقيم حكم الله بين الناس ؟

فقلتُ : سمعنا عن جلالة ابن السعود ملك نجد والحجاز إنه يعمل اليوم لتجديد شباب الاسلام ، ويحكم بين الناس بما أنزل الله · فقال : وهل عملُ صاحب الجلالة ابن السعود

يُجدي في سـائر المسلمين الذين يبلغون أربعمئة مليون ؟ أحسب أن نفعه لا يتجاوز جزيرة العرب الى بقية المسلمين الذين هم من أجناس مختلفة ، وأقطار متنائية

قلت : قال رسول الله ﷺ « ألا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلُح الجسد كله ، واذا فسدت فسد الجسد كلّه، ألا وهي القلب » وبلاد الحجاز بما فيها من الاماكن المقدسة هي قلب بلاد الاسلام فاذا صلح هذا القلب ، صلحت بلاد الاسلام كلها ، وليس يستقيم للمسلمين أمر ، ولا تصلح لهم حال الا اذا صلحت قلوبهم ، وخلص ايمانهم حتى لا تبقى فيه شائبة من شوائب الجاهلية الاولى ٠

اذا ما صفت للمسلمين عقائد
صفا كل فعل منهم وتجوّدا
وان خبثت بالمحدَثات قلوبُهم
فقد ضلَّ سعيُ المسلمين وما اهتدى

ولا يمكن بحال أن ننتظر من المسلمين عملاً صالحا ، ولا خُلقًا برًّا شريفا ، ما لم يدخل الايمان في قلوبهم حقا ، وما لم

يتقوّ هذا الايمان فيهم ، حتى تطفح به أنفسهم هدى ونورا . وهنالك ينصرون الله وهنالك ينصرهم الله . (وكان حقاً علَينا نصرُ المؤمنين) .

فقال صاحبي الاسباني : هذه امور مهمة ، وحقائق عن الاسلام ما كنت أعلمها من قبل ، ولقد جعلتَني ـ بحديثك هذا ـ أعتقد أن فجر الاسلام لا محالة سيطلع من جديد ، وسيملأ الأرض هدى ونورا ، ما من ذلك بدّ ، وليس فيه من شك . وسيكون ذلك قريباً أو بعيداً على قدر نشاط المسلمين في تزكية أنفسهم وتطهيرها ، وإصلاح ذات بينهم ، وعلى حسب ما يكون لهم من الدعاية والتبشير ، وكل عمل صالح تقوم به حكومة إسلامية بعد تبشيراً عملياً بدين الاسلام وشريعته . ومن الاسف أن الصحافة الغربية وشركات الاخبار البرقية لم تتناول أعمال ابن السعود وغيره من حكام المسلمين وجماعاتهم بما تستحق من النشر والاذاعة ، بل كثيراً ما تنشر عنهم أخبار السوء الزائفة . وذلك لانها صحافة وشركات مادية قبل كل شيء ، لا نعرف العمل لوجه الله ؟

وكانت إحدى المجلات الاميركانية نشرت فصلا بقلم بعض الرهبان المضللين يدعو فيه الحكومات الاوروبية ان تتألب على جلالة بن السعود صاحب المملكة العربية السعودية وتضرب على يده ولا تدعه يعمل باحكام القرآن الكريم بدعوى ان شريعة الاسلام هي قاسية فظيعة تصلح للهمج المتوحشين ولا تلائم الحضارة الحاضرة ثم قالت: إن شريعة (السن بالسن والعين بالعين ...) و (قطع يد السارق) هي شريعة الانسان الاول وهي تعني بذلك شريعة الاسلام. وقد نقلت صحف في الغرب والشرق - وفي الشرق العربي ايضاً - هذا الطعن على الاسلام من غير تعليق.

ولما انبرى عالم جليل من أشهر اساتذة القانون في إحدى الجامعات الأميركانية إلى هذه المجلة يرد عليها باطلها، وينكث غزلها لم يكد ينقل جوابه أحد في الغرب ولا في الشرق. وهذا الاستاذ المنصف يستحسن شريعة القرآن ويدعو إلى العمل بها ويفضلها على غيرها من سائر القوانين الوضعية. وهو يتمنى على جميع المحاكم في سائر البلاد أن تعاقب القتلة

السفاكين واللصوص المجرمين بنفس العقوبات التي جاء بها القرآن الكريم ، وهو يقول :

« لو أننا في أميركا مثلا عملنا بشريعة القران لكنّا اليوم في راحة تامّة مما نقاسيه من الشرور والويلات فلوقطعنا يدَ سارق واحد لانقطعت السّرقة من أصلها ، ولما خشي الآباء والامهات من هؤلاء اللصوص المجرمين الذين يختطفون الاطفال ابتغاء الفدية والمال . . » ثم قال : والذين لا يعجبهم أن تقطع يدُ السارق . . . ويزعمون أنهم يدافعون بذلك عن الحضارة إنما هم في الحقيقة لصوص محتالون يدافعون عن أيديهم التي تعوّدت السّرقة والاختلاس . . . »

***

وانتقلنا بعد الى شجن من شجون هذا الحديث : حديث التبشير الاسلامي وما يتصل بمسألة التبشير الاسلامي . فذكرنا جالية الاسبان في الجزائر ، وقلنا ان من أسلم منها فقد أسلم ، ومن لا يزالون مسيحيين فكثير منهم يتقربون من الاسلام يوماً فيوما ، فهم في كل يوم يرفضون عادة من عاداتهم ويعتاضون عنها بعادة من عادات

أهل وهران المسلمين ، فهم يزورون مزارات المسلمين ، ويبخرونها بالبخور ! .. ولولا أن هذه الفئة النفعية المفرضة ـ فئة الصحافة الاستعمارية في الجزائر تبذر دائما بذور الشقاق بين الجزائريين المسلمين الوطنيين وبين الاجانب المتوطنين لدخل في دين الله كثير من الجاليات الغربية .

وتناولنا مسألة التبشير المسيحي بين المسلمين فقلت ذكر الجنرال الفرنسي آزا في كتابه (المسألة الجزائرية) ما تعريبه :

« .. ان المسلمين لا يمكن ان يتركوا الاسلام ويتنصروا .. وقد كانت وقعت في الجزائر مجاعات عمومية عظيمة في القرن الماضي فانتهزها الكاردينال « لا فيجري » (مؤسس ارساليه الآباء البيض) فرصة لتنصير الاطفال المسلمين فالتقط من مخالب المجاعات أربعة آلاف طفل صغير دون العاشرة ، وما هي إلا أن كبروا وعرفوا أن آباءهم مسلمون حتى هربوا ورجعوا إلى الاسـلام ولم يبق منهم على النصرانية الا نحو أربعين شخصا ما أحسبهم مخلصين للمسـيح في بقائهم على

النصرانية ، وانما أبقاهم عليها شدة اضطرارهم وفقرهم ... »
فعجب صاحبي من نشاط التبشير المسيحي في بلاد الاسلام مع
أنه لا يلاقي إلا كل خيبة ولا يبوء إلا بالفشل والاخفاق .

وودعني صاحبي الاسباني وودعته على نية أن نلتقي في
وقت قريب ، و كنت نويت أن أجعل حديثنا في المرة الثانية
عن الاندلس . وهل يعود الاسلام من جديد . ومع الاسف
فاننا لم نلتق بعدها ، غير أن صديقي السيد عبد القادر محداد
الاستاذ فى المدرسة الثانوية الفرنسية بوهران قد رجع أخيراً
من سياحته في الاندلس ، وحدثنا بان أهل مقاطعة الاندلس
اليوم يفتخرون على بقية الاسبان بانهم عرب أبناء عرب من
سلالة عربية . وأصبحت العروبة هي موضع الشرف عند
الاسبان ، فأشرف شريف عندهم من لا يزال اسمه عربياً ،
دليلا على أصله العربي ، وامة الاسبان كلها تعتبر نفسها شرقية
لا غربية . وقال : انه قرأ (الدليل الرسمي للاندلس) فاذا
الذي ألفه أديب اسباني اسمه (بن أمية) ، واذا هو يقول في
مقدمة الدليل : (... ان جميع من في اسبانيا من العبقريين

الذين نبغوا في الشعر والكتابة والنحت والتصوير وغيرها من الآداب الرفيعة ، هم عرب وأبناء عرب . . » وأطنب بعد في عدّ مفاخر المسلمين وصناعاتهم وعلومهم التي كانت لهم في بلاد الاندلس . وخيالات الشعر الاسباني اليوم خيالات عربية ، وروح الأدب الاسباني في جملته روح عربية . والعامة من أهل الاندلس اليوم ما زالوا يتسامرون ويتحادثون بحكايات عربية ، تقصها الامهات على أطفالهن ، وهي حكايات عن بني سراج وبني امية وما الى ذلك . وهم يفتشون كثيراً على المراثي التي نظمها شعراء العرب في رثاء الاندلس المسلمة والبكاء عليها .

وقال : اذا دخلت غرناطة أو قرطبة أو غيرهما من المدن التي كانت مساكن العرب ، حسبت نفسك في مدينة عربية . فان ديار العرب ومبانيهم هنالك ما زالت على حالتها الاسلامية الاولى ، ولم يكد يتغير منها شيء . وآثار العرب موجودة هنالك في كل مدينة وفي كل قرية من ديارهم . واذا كان الحجاب هو فصل ما بين الرجل والمرأة ، فان اشبيلية وغيرها

اليوم لا يختلط فيها الرجال بالنساء . ففي المقاهي يجلس النساء
في ناحية لهن خاصة بالنساء ، وفي الافراح البلدية يبقى النساء
في مركباتهن وعربانهن ، يتفرجن ويستمعن الغناء من بعيد .
وفي الشوارع (في اشبيلية) لا يخاصر الرجل امرأته ، بل
يمشي أمامها ، وتمشي هي وراءه ، وما زالوا يزورون مقابر
الاولياء والصالحين وأضرحتهم التي في كل حومة واحد منها ،
وهي أضرحة في الاصل اسلامية . وهم يطيبونها إلى الآن
بالبخور كما يفعل عامة المسلمين .

فقلتُ له : وانا أيضاً رأيت في بعض دور الصُّور المتحركة
منظراً لسرب من الفتيات الاسبانيات، وهنّ في حفلة عرس ،
فرأيتُهنّ يضربن بخمرهنّ على جيوبهنّ ، ويُدنين عليهنّ
من جلابيبهنّ ،ولا يبدين زينتهنّ إلا ما ظهر منها . ورأيتُهن
في هيئة من الحجاب تشبه هيئة كثيرات من العربيات
المسلمات اللائي تراهنّ في قرى الجزائر وتونس والمغرب
الاقصى .

وكان أحد الاسبان واسمه (بن حفص) (Bin Hafs)

(وهو ضابطٌ في جيش الاسبان برتبة قومندان) إذا وجد كتاباً عربياً بكى بكاء مرّاً على مجد المسلمين وسلطانهم في الاندلس . وكان يقول : (لو أن الاسلام يعود الى الاندلس من جديد ، لما كان في ذلك اكثر من أن يسمّي أهلُ الاندلس اليوم أنفسهم مسلمين ..) يعني أن الاندلس متهيئة بطبيعتها وبحالتها الحاضرة وبعقليتها لقبول الاسلام وللترحيب به من جديد، لو كان لهذا الاسلام دعاة ومبشرون . والاستاذ محداد يستبعد نجاح التبشير الاسلامي في اسبانيا لما للكنيسة هناك من سلطة قوية على العامة . ويعترف بأن في اسبانيا من يتمنى لامته أن تكون امة مسلمة حتى تعود اليها حضارتها العربية الاولى ، وحتى تكون رأس الامم الاسلامية ، ولا يستبعد أن تنجح الدعوة الاسلامية في اسبانيا بين طبقة الادباء والمفكرين .

واتفقنا أخيراً على أن الاسلام فى حاجة شديدة الى دعاية وتبشير ، في نفس بلاد الاسلام ، وفي سائر بلاد الله . واتفقنا ايضاً على أن هذه الدنيا كلها فى حاجة الى أن يرحمها

الله بهداية هذا الاسلام : هذا الدين القيم الحنيف .

« ذيل »

عقب نشر هذا الفصل وردت على صحيفة (الفتح) الكلمة الآتية من أحد كبار أساتذة الطب في دمشق ، فألحقناها به لاهميتها

في الاندلس المسيحية

والحجاب موجود أيضاً !

لقد جاء في مقال الفاضل الاستاذ السيد محمد السعيد الزاهري المنشور في العدد 10228 من صحيفة الفتح الغراء (1) أن اموراً كثيرة لم نزل في الاندلس عربية اسلامية ، حتى قال عن لسان صديقه السيد عبد القادر محداد (واذا كان الحجاب هو فصل ما بين الرجل والمرأة ، فان اشبيلية وغيرها لا يختلط فيها الرجال بالنساء . . .) وإني لازيد على ذلك بأن الحجاب نفسه ما زال موجوداً في بعض زوايا الاندلس كما جاء

---

(1) انظر الصفحة 82 من هذا الكتاب

في كتاب (غير المشهور من اسبانيا) في الصفحة (90) وهو رسم امرأة متحجبة الحجابَ الشرعي الذي كان مستعملاً في بلادنا كلّها قبل سنين قليلة والذي لم يزل في المستمسكات بعرى الدين المتينة في جميع البلاد الاسلامية ، وقد كُتب تحت هذا الرسم بخمس لغات (الالمانية والاسبانية والايطالية والانكليزية والافرنسية) ما مؤداه بالحرف : إحدى النساء المسيحيات اللاتي لم يزلن الى الآن متحجبات كما كن في عصر عرب الاندلس ٠)

فالرجاء نشر ما ذُكِر ليكون ذيلا للمقال المذكور وخدمة للتاريخ والحقيقة ، والسلام عليكم

دمشق : (قارئ)

حنين الاسبان الى العرب

وهذا فصل كنتُ نشرته في العدد الصادر يوم 5 ذي الحجة الحرام · 135 ــ 12ـ 4ـ 1932 وفي العدد الذي يليه من جريدة « النور » الغراء التي كانت تصدر بعاصمة الجزائر ، بعنوان :

(اسبانيا الحديثة ، موقفها بازاء العروبة والاسلام · حقائق ومعلومات لم تُنشَر قبل اليوم) ·

ولما كان هذا الفصل مناسبا لهذا المقام أردتُ أن أثبتَه في هذا الكتاب ، وهومن زيادات هذه الطبعة الثانية :

من عهد قريب غير بعيد كانت نشرت الجرائد اليومية وشركات الاخبار ان مجلس الوزراء الاسبان قد قرر ان ينشيء مدرستين كليتين للابحاث العربية الاسلامية احداهما في مجريط (مدريد) والاخرى في غرناطة ، ونشرت الجرائد العربية والاسلامية هذا الخبر مقتضبا مجرداً عن كل بيان مثلما فعلت تماماً جرائد الاستعمار والجرائد المسيحية التي لا

يسرها ما يسر العروبة والاسلام .

ونحن لا نلوم صحف الاستعمار اذ هي لم تنوه باسبانيا الحديثة التي جعلت تعمل الصالحات وتهتدي الى سبيل الرشاد ، ولا نلومها اذ هي تعمدت إغفال عمل نافع كهذا الذي عملته اسبانيا فلم تشرحه ولم تتناوله بالاذاعة والنشر فقد عرفنا من هذه الصحف وهذه الشركات الاخبارية أنها لا تودُّ الخير للاسلام ولا للعروبة ولا تتورع ان تحاربها ولا ان تتوسل الى ذلك بكل وسيلة مهما كانت سافلة غير شريفة ، وانما نعجب من الصحف العربية والاسلامية على الخصوص كيف تقتضب هي الاخرى هذا الخبر اقتضابا دون ان تزيده ادفى شرح او بيان . وقد يزول عجبنا اذا عرفنا انه ليس للاسلام أية شركة من شركات الاخبار ، وان العروبة لا تملك جريدة من الجرائد الكبرى ولا وسيلة اخرى من وسائل النشر والاذاعة . فالصحافة العربية اليوم ـ الا قليلاً ـ لا تزال عالة على صحف الاستعمار تتأثر بها وتقلدها تقليداً كثيراً لا حد له ولا نهاية والدعاية الاستعمارية لا تزال تعمل عملها في كل بلد من بلاد

الاسلام . وكان الواجب علينا معشر العرب المسلمين ان نهتم لكل حادث من حوادث الخير او الشر يعني العرب او يتعلق بالمسلمين ، لا أن نكون تبعاً للغربيين نقول بما يقولون ونصمت عما يصمتون . وفي جمهورية الاسبان الحديثة ما لا يهم المستعمرين ولا يعنيهم ، ولكنه يهم العرب ، ويعني المسلمين .

وقد حصلت انا على معلومات عن هاتين الكليتين فأردت أن أذيعها هنا .

وأبدأ بنشر فقرات من نفس مشروع القانون الذي قدمه إلى المجلس النيابي معالي وزير المعارف العمومية السنيور مارسيلينو دومينكو ، وقد مهّد لهذا المشروع بفذلكة جاء فيها ما ترجمته :

(ليس هنالك حكومة يجب عليها أن تحافظ على الآثار الاسلامية وأن تنشّط الابحاث العربية أكثر مما يجب على اسبانيا .

«ثمانية قرون كاملة ونحن دماغ اوروبا ونورها اللامع ، وذلك لأن الحضارة الاسلامية قد عاشت طيلة هذا الأمد

كله فوق أرضنا ، وأثرت تأثيراً بليغاً في تاريخنا ، وصبغت إلى الأبد حياتنا بالصبغة الشرقيه (أي العربية الاسلامية) من الأدب إلى الفن إلى النظام إلى غير ذلك من نواحي الحياة فالبحث عن الماضي (أي الاسلامي) أقل ما يقال فيه إنه واجب جليل . . . (ولاداء هذا الواجب لا يمكن الحكومة أن تهيىء نظاماً جديدا . وإنما الأفضل أن تستعمل ما هو موجود ، أعني بذلك جماعة المستشرقين (الاسبان) الباحثين الذين حافظوا على شرف اسبانيا بوجه خاص ، وبعناية تامة ، وبتواضع وبنصر باهر في ميدان الابحاث الشرقية (1)

. . . ووسائلنا إلى تحقيق آمالنا على ضربين : الاعمال المختصة بالماضي وهي البحث والتنقيب والترجمة بحيث يسهل على طلابنا أن يتناولوا الكتب التي تتعلق بتاريخنا الاسلامي الذي هو كما قلنا سابقاً جزء من تاريخ اسبانيا ، وثانيا الاعمال

(1) اذا كان من المستشرقين من هو سيء الرأي بالاسلام وبالعربية فاننا عرفنا في المستشرقين الاسبان من يخدمون العلم بنزاهة واخلاص .

المختصة بالمستقبل ، والمراد منها استكثار العلائق الاقتصادية والثقافية بيننا وبين الشرق من مثل نشر لغتنا ونفوذنا وزرع حياة جديدة في ردهات مدارسنا ، وذلك بأن نفتحها في أوجه الشبان المسلمين وندعوهم اليها ، ولا سيما شبان العرب الذين يتثقفون اليوم في مدارس تظهر لنا العداوة والبغضاء ...)

والخلاصة إنه يجب علينا أن نعلن عن شخصيتنا الحقيقية لمن لا يزالون من غير أن يعرفونا يجعلون اسبانيا جنة بائدة ، وفردوساً مفقودا .

أما المقصد الأول فانه يسهل علينا أن نجعل مقره في مجريط ، فهي متبوأ الاساتذة المشهورين ، وهي الوسط المساعد على البحث العلمي، وفيها المخطوطات العربية ، وجارة الاسكوريال حيث المكتبة العربية الكبرى .

واما المقصد الثاني فينبغي أن نجعل مقره في غرناطة التي سعت منذ أعوام في هذا الأمر بغاية الحزم والنشاط ، وهي آخر مدينة عربية فتحها الاسبان ، وتوجد فيها الآثار العربية أكثر من سواها ، وهي ذات طبيعة ناضرة ، مختلفة المناظر ،

وقد استمرت اللغة العربية وبقيت تدرس في جامعتها بلا انقطاع ، كل ذلك يخولها أن تكون أولى من غيرها وأحق بأن تنشر لاسبانيا في الشرق حسن الأحدوثة ، والذكر الجميل .

وهي أحق بأن تحافظ على حياة الابحاث العربية في الاندلس كما كان لها ذلك منذ قديم ...)

ثم عرض الوزير الاسباني نص مشروع القانون الذي وضعه لانشاء هاتين الكليتين ، ومن فقراته :

«المادة الثانية» الغرض من إنشاء كلية مجريط هو تنظيم وتنشيط الابحاث العلمية عن التاريخ والحضارة وسائر نواحي الحياة الاسلامية من جميع وجوهها ولا سيا في اسبانيا، ونشر الكتب العربية وترجمتها والبحث عن الأدباء المسلمين « العرب » واستقصاء آثارهم .

«المادة الثالثة » لتحقيق هذا الغرض تنشأ أولاً فرقة المذاهب الفلسفية والعلمية في الاسلام ، وفرقة التاريخ السياسي للاندلس على عهد العرب وفرقة النظام (الادارة) والفقه

الاسلاميين ، وفرقة اللغة العربية وآدابهـا ، وفرقة المغرب واللهجات المغربية ، وفرقة الفن والمعمار العربي (المعمار هو هندسة البناء) وعدد هذه الفرق يزاد فيه في المستقبل كلما توفرت لنا الوسائل الملائمة ، وتهيأ لنا العلماء المستعدون لمثل هذه الاعمال .

وكل فرقة من هذه الفرق تتركب من شخص أو من أشخاص أخصائيين أو من تلامذة يريدون إتمام معلوماتهم على نفقة الحكومة .

وثانيا تنشر هذه المدرسة مجلة علمية تكون لسان حالهـا ، وتنشر سلسلة كتب مترجمة ، ومطبوعات عربية وأبحاثا عن الموضوعات الآنف ذكرهـا ، وأدبيات (عربية) مختارة لتنشر بين الجمهور وكتبا نحوية ، وقواميس لغوية ومختارات معلقا عليها (مشروحة) وما إلى هـذا من كل ما يضطر الطلبة اليه .

« وثالثا لهذه المدرسة أن تدعو بعض العلماء الاخصائيين الاجانب ليقوموا فيهـا ببعض الدروس أو المحاضرات .

وكذلك يحق لاساتذتها أن يقوموا ببعض الرحلات والاسفار في سبيل البحث والتنقيب ·

« المادة الخامسة » يشرف على هذه المدرسة لجنة علمية يرأسها وزير المعارف العمومية ، وتتكون من الدون خوليان زوبيرا ، والدون رامون مبنداندس بيدال ، والدون كوميس مورينو ، والدون سانشاز آلبرنوس ، والدون أنطونيو بريطو والدون ميكيل آسين بلاصيوص الذي هو مدير هذه الكلية ·

« المادة التاسعة » الغرض من انشاء مدرسة غرناطة هو التعليم العالي للغة العرب وحضارتهم واللغة العبرية واجتلاب الشبيبة الاسلامية ، ويضاف إلى ذلك ابحاث علمية ·

« المادة العاشرة » لبلوغ هذه الغاية تنشأ في أول الأمر فرقة تتعلم اللغة العربية واللغة العبرية ، وفرقة لدراسة التاريخ الاسلامي من حيث الثقافة والسياسة ، وفرقة للنظام والفقه الاسلاميين ، وفرقة للهجات المغربية ، وفرقة للفن العربي والهندسة العربية · ويزاد في هذه الفِرَق متى توفرت المواد اللازمة والعلماء المستعدون لمثل هذه الاعمال ·

ويضاف إلى ذلك دُروس في الثقافة الاندلسية والثقافة الاسلامية نلقى على الطلبة الشرقيين ٠

وتعتني مدرسة غرناطه هذه بالابحاث العلمية اتفاقاً مع مدرسة مجْريط كما هو مفصل في المادة السادسة عشرة التي تخص إنشاء لجنة النشر ٠

وتجتهد مدرسة غرناطة في دعوة التلامذة المغاربة ليتلقوا دروسهم في مدارس غرناطة وتخصص لهم دروساً تلائم دينهم وثقافتهم وتُهيىء لهم في أول فرصة ممكنة غرفاً وحجرات حيث يسكنون ٠

ولهـذه المدرسة أن تدعو هي الأُخرى بعض العلماء الاخصائيين الأَجانب ليقوموا فيهـا ببعض الدروس أو المحاضرات ، ويحق لأَساتذتها أن يسافروا لاجل البحث والتنقيب ٠

« المادة الثانيةعشر » تشرف على هذه المدرسة لجنةتتكون من رئيس (مدير) جامعة غرناطة وعميد كلية الآداب ، والمعماري (المهندس) المحافظ على قصر الحمراء ، ومن أستاذين

آخرين من كلية الآداب ، أحدهما تعينه الكلية ، والآخر هو أستاذ اللغة العربية فيها ويكون هو المدير الفني لهذه المدرسة(1) . . .

وجاء في المادة الحادية عشرة ـ إن أساتذة هذه المدرسة العربية يقع تعيينهم باجراء مسابقة (مناظرة) بينهم ولا يشارك فيها الا الدكاترة (الذين يحملون شهادة الدكتوره من إحدى الجامعات المعترف بها) .

وأنت ترى هذا المشروع القانوني هو ما يمكن أن تبذله حكومة عربية ـ لو هي أرادت ذلك ـ لاحياء مجد العرب ، وحكومة إسلامية لكي تبعث به تاريخ الاسلام من جديد ناصعاً مجيدا .

وأنت ترى أن معالي وزير المعارف الاسباني قد مهد لمشروعه هذا بكلمة كلها افتخار بالعرب ، واعتزاز بثقافة لاسلام ، فهو يرى من دواعي الفخر أن يقول : (تاريخنا

---

(1) وهو حضرة المستشرق الفاضل الاستاذ ايميليو كرصيا كوميس استاذ اللغة العربية بجامعة غرناطة .

الاسلامي) على حين نرى أن كثيراً من وزراء الحكومات الاسلامية يخجلون من ذكر (تاريخهم الاسلامي) فضلا عن أن يذكروه على وجـه الافتخار . بل سمعنا مراراً بعض رجال تركيا الرسميين يزعمون أن تاريخ تركيا لم يكن في يوم من أيامه تاريخاً إسلامياً (كذا) ، وهم يفاخرون بذلك ، ثم هم يتبرءون من ثقافة العرب التي لا يتبرءون منها إلا كما يتبرءون من لحومهم ودمائهم .

وهذا العمل الصالح الذي تعمله الحكومة الاسبانية هو أثر من آثار حنين اسبانيا الحديثة إلى العرب . فالطبقة المفكرة المستنيرة من الاسبان أصبحت تعتقد أن أسعد أيام اسبانيا في التاريخ إنما هي أيام العرب ، وإن العصر الذهبي للاسبان إنما هو العصر الاسلامي ، وإنه لا سبيل إلى النهوض باسبانيـا الحديثة ولا إلى إقالتها من عثرتها وكبوتها إلا بالعمل على إحياء ما مضى فيها من عهد العروبة والاسلام . ولا ترى في اسبانيا اليوم عالمـاً ولا أديباً : شاعراً أو كاتباً إلا وقد ندب العرب وبكاهم بـكاء مرًّا ، وأجود ما تقرؤه من شعر الاسبان ونثرهم

اليوم هو ما تدبوا به الاندلس العربية وبكوها فيه . فالروائي الاسباني الشهور ابلاسكو ايانيز لا يكاد يجد في رواية له إلا اذا جعلها مرثية يرثي بها العرب ، وأمير شعراء الاسبان فيا سباسا لم ينل هذه الرتبة العالية من الشهرة بالشعر إلا بمراثيه في العرب .

وفي اسبانيا اليوم كاتب من أكبر كُتّابها سمّى نفسه (ابن أمية) ـ وهو اسباني مسيحي ـ يعتقد أن اسبانيا كلها أمة شرقية لا علاقة لها بالامم الأوربية ، ولا تمت الى (اللاتين) بصلة نسب ، ويدعو الاسبان أن يعتبروا أنفسهم شرقيين لا غربيين ، ويقول : (يقولون لنا إنكم أمة لاتينية ، والحق إننا أمة شرقية بحتة . . .) ثم يذكر الشواهد القاطعة على أن اسبانيا هي أمة شرقية لا غربية ، ويزيف مزاعم من يقولون إنها غربية لاتينية : وله الحق في هذا القول ، فاننا نرى هنا في وهران وفي غيرها عدداً لا يحصى من المسلمين عربا وبربراً والبربر هم أيضاً عرب وأبناء عرب نساء ورجالاً يجيدون اللغة الاسبانية ويعرفونها معرفة تامة من غير أن يستعملوها ، بل

كما يعرف العرب اللغة البربرية وكما يعرف هؤلاء اللغة العربية ·
وهي (الاسبانية) في ألسنتهم وأفواههم أسهل عليهم من اللغة
الفرنسية التي لا يجيدونها في الكثير الغالب الا بعد القراءة
والتعلم · وذلك لأن اللغة الاسبانية ـ وإن كانت في أصلها
لاتينية ـ فهي شرقية في نفسيتها ومزاجها لا يصعب على هؤلاء
العرب الشرقيين أن يتكلموها كلغة قومية · واليهود هنا في
عمالة وهران يتكلمون أيضاً الاسبانية كلغة منزلية · أما
الفرنسيس مثلا فانه يصعب عليهم أن يتكلموا الاسبانية من
غير أن يتعلّموها ويمارسوها طويلا · ذلك لأن مزاجهم
غربي ومزاجها هي شرقي · · ·

ومن كُتّاب الاسبان وأدبائهم من يذهب الى وجوب
تعريب الأندلس من جديد ، ويقترح لذلك على الحكومة
أن تجعل اللغة العربية اجبارية في مدارس الاندلس ، وأن
تسعى في جلب العائلات العربية فتنزلهم بالاندلس وتقطعهم
المزارع والأراضي ، فتستعرب بذلك الأندلس مرة اخرى ·

وبلغني أن ناديًا تأسس في قرطبة لاحياء الثقافة العربية

في الأندلس وفي اسبانيا كلها ،وان عدداً وافراً من الأدباء والمفكرين الاسبان قد انخرطوا في هذا النادي .

واستحالت هذه الفكرة في عقول بعض المخلصين الاسبان من فكرة محلية داخلية الى فكرة فسيحة فيها شيء كثير من السعة والطموح . ففي أدباء الإسبان اليوم من يتمنى لو ترجع الخلافة الاسلامية الى الاندلس وتكون قرطبة هي عاصمة الاسلام كما كانت في القديم على عهد الخلفاء الاموين قالوا وتخفق راية هذه الخلافة الاسلامية الجديدة على بلاد الجزائر وتونس والمغرب الأقصى والاندلس وسائر بلاد الاسبان على ان تكون هذه البلاد ولايات متحدة : الناس فيها سواء لا حاكم ولا محكوم ولا غالب ولا مغلوب ولا ظالم ولا مظلوم وقد تظهر هذه الفكرة على غاية من الغرابة والشذوذ ، ولكنها على كل حال دليل قاطع على ان الاسبان اصبحوا اليوم لامستعمرين يبغضون العرب ويحملون لهم في صدورهم الضغائن والاحقاد ، ولامسيحيين يتعصبون من الاسلام ويتمنون له الفناء والزوال ،ويعملون على ان يلحقوا به الشر والأذى .

واذا نظرنا الى سياسة اسبانيا الحديثة في منطقة حمايتها بالمغرب الأقصى ومعاملتها للمسلمين هنالك ، وجب علينا ان نعترف بالحقيقة الواقعة وأن نُعلن على رؤوس الاشهاد أن جمهورية اسبانيا الفتاة تعامل المغاربة معاملة حسنة ، فلا فرق عندها بين مغربي وبين اسباني في حق من الحقوق ، وهي تعتبر العرب ابناءها لا رعاياها فلا يخاف العربي هنالك ظلماً ولا هضما ٠

والأوقاف الاسلامية ، والشؤون الدينية مثلاً هي كلها في أيدي أهاليها العرب المغاربة المسلمين لا تتداخل فيها الحكومة بوجه من الوجوه ٠ وللمسلمين هنالك أن ينشئوا المدارس العربية الاسلامية الحرة ٠ وفي هذا الصيف الماضي قد اجتمع اعيان مدينة تطوان وأهل الفضل والمروءة فيها وأسسوا مدرسة عربية إسلامية حرة ، كثيرة الطبقات والاقسام ، وجعلوها نظامية على أحدث طراز ، ومع ذلك لم يلقوا من الحكومة الاسبانية معاكسة ولا اعتراضا ٠ ولا تمنع الحكومة هنالك عربيًا من رعاياها أن ينشئ جريدة عربية كيفما كان مذهبها السياسي ، ولاسنت قانونًا خاصًّا قيَّدتْ به تمت صحافة العرب

دون صحافة الاسبان ، بل قانون المطبوعات واحد يشمل الصحافة الاسبانية والصحافة العربية على السواء . وآية ذلك اننا لم نسمع الى الآن ان حكومة اسبانيا قد منعت جريدة عربية - ايا كانت - من دخول منطقة حمايتها بالمغرب الاقصى وهذا لم تفعله اسبانيا حتى في ايام الحرب الريفية حينما كانت الجرائد في جميع الاقطار تنتصر للمجاهد الكبير الامير محمد ابن عبد الكريم .

وكان كاتب الدهر امير الجهاد وامير البيان عطوفة الامير شكيب ارسلان زار بلاد الاندلس وزار المنطقة المغربية التي تحت حماية اسبانيا . فأقام له اخواننا العرب هنالك حفلات تكريم . ولم يعترض الاسبان على شيء من ذلك وكانت يومئذ صحافة الاستعمار الفرنسي قد هاجمت عطوفة الامير بالاكاذيب والمفتريات وعاتبت الاسبان عتاباً مراً على سماحهم له بالاقامة في المنطقة الاسبانية ، وأغرتهم بابعاده كما ابعدته حكومة مراكش الفرنسية من طنجة وهي منطقة دولية بين كثير من الدول .

ولما انعقد المؤتمر الاسلامي بالقدس الشريف وأراد ان يمثل المغرب الاسباني فيه عظيم من عظماء المسلمين هنالك لم تمانع حكومة الاسبان في ذلك ولا اعترضت عليه ، بل سمعنا أنها انتدبته رسميًا ليحضر هذا المؤتمر .

وبالجملة فحكومة اسبانيا الجمهورية لم تعمل عملاً استعمارياً تريد به محق العروبة او الاسلام ولا حاولت أن تقطع تلك الأمة الاسلامية التي تحت حمايتها من جسد الاسلام ولا أن تجعلها في عزلة عن العالم ، ولا أن تخفيها عن الأنظار ، فالمغاربة الذين هم تحت حمايتها هم اليوم في عيشة راضية يتمتعون بما لم يتمتع به أي بلد آخر من بلاد الاسلام قد كتب عليه ان تستعمره دولة غربية باسم حماية أو انتداب ، ولو أن اسبانيا كانت غربية لكانت قاسية ظالمة كأخواتها الغربيات ، ولكنَّ رحمتها وعدالتها هما من (شرقيتها) المتسامحة الوديعة ، ومن آثار العروبة فيها .

(حاشية)— نشرنا هذا الفصل منذ اربعة عشر شهراً لم تستطع اسبانيا الحديثة في اثنائها أن تنفذ هذا المشروع ،

لا نها منهمكة في إطفاء الفتن التي لا نزال نقوم في بلادها
من حين إلى حين ، ولأنّ بعض الدول الاستعمارية التي
يسوؤها أن ترى العرب والاسبان يتصافحون ، قد وضعت
العراقيل في سبيل هذا المشروع ، وهى وإن لم تستطع احباطه
فقد استطاعت ان تؤخره إلى اجل غير مُسمّى . على ان جماعة
(البيت الاسلامي) في مدريد ورجال (الجمعية الاسبانية -
الاسلامية) التي ينوب رئيسها صاحب العطوفة الامير شكيب
أرسلان لا يزالون يبذلون الجهود المخلصة والمساعى المشكورة
في هذا السبيل . واذا كان العرب والمسلمون لا يريدون ان
يمدوا أيديهم بالاعانة الى جماعة هذا البيت ، ولا الى رجال
هذه الجمعية فإنه ستضيع من أيدينا فرصة ثمينة قد نندم عليها
ندما شديداً وقد لا تسنح لنا مرّةً أخرى .

كيف يغوون شبابنا ؟

ولو ان الغربيين كانوا كلهم مثل مسيو لوي بيرتران ـ خصيم الشرقيين الألد ، وعدو المسلمين الأزرق ـ لما خفنا على شبابنا ـ ولو على واحد منهم ـ أن يتهافتوا على التفرنج والاندماج . فخصومته للشرق ، وما في هذه الخصومة من مكابرة وعناد ، وعداوته للمسلمين ، وتعصبه للمسيحية على الاسلام ، وما في ذلك من تحامل واسراف : كل ذلك فيه مزدجر بليغ لشباننا المسلمين الذين يتعلمون في المدارس الاجنبية ، وفيه ما يثير فيهم الغيرة على الاسلام ، والغضب للكرامة ، وفيه ما يهيج في رؤوسهم النخوة والاعتزاز . ولكن الغربيين ليسوا سواء : منهم من (قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر) ، ومنهم من يدس السم في الدسم ، ويدعو شبابنا الذين يقرأون لغاتهم ، الى التفرنج والاندماج ، دعاية هي غاية ما يمكن أن تكون لطفا واحتيالا ، دعاية يزينون لهم فيها الغواية والضلال ،

ويلبسون عليهم فيها الحق بالباطل ، وان فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون .

...

نشر لوي بيرتران هذا كتاباً سماه (لدى الاسلام)، شتم فيه الاسلام ماشاءت له تربيته ان يشتم و كابر في انكار المآثر العربية الاسلامية الخالدة في اسبانيا وفي غيرها ماشاء له تعصبه ان يكابر وأثنى فيه على المسيحية ثناء كثيراً ، حتى أشبع غرضه وهواه وزعم فيه : ان اسبانيا اليوم هي الامة الراقية المتمدنة في اوربا كلها لما فيها من تعصب مسيحي ،وبغض للاسلام . وذكر فيه مصر وجهادها في سبيل الاستقلال ، فشتمها ، وشوه نهضتها وجهادها كما شاء له التعصب والحقد فتأسف على ذهاب البوليس البريطاني الذي كان في مصر ، وقال إنه كان حازماً جميل الهندام . واستقبح منظر البوليس اليوم،وقال : (أنه ذو شوارب طويلة مستقبحة لاجمال فيها .) كأنَّ الاستقلال لا ينال إلا بحلق الشوارب! إلى غير ذلك مما قال . ويقرا شباننا مثل هـذا الكتاب ، فينتفعون بهذه

الشتائم المقذعة ، فتثير كل ما فيهم من غيرة ونخوة ، فيكرهون التفرنج ، وينفرون من الاندماج ولكن الذي نخافه على أبنائنا ، هؤلاء الفرنجة الذين يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم يحبّبون إلى أبنائنا الكفر والالحاد، ويكرّهون اليهم الهدى ودين الحق

في السنة الماضية كان ورد الجزائر من فرنسا رجلان اثنان أتيا متعاقبين (أحدهما تلو الآخر) . أما أولهما ، فهو مندوب من بعض جمعيات الحشمة والتقييد فطاف في بلاد الجزائر ، وخطب في مسارحها (الفرنسوية طبعاً) ودعا الناس الى التديّن والنساء إلى الاحتشام وحذّر من الكتاب والصحف والمجلات والروايات المستهترة الخليعة .

وأما الثاني ، فهو مندوب من بعض جمعيات الالحاد ، ومناوأة الاديان .ولعلّ المقصد الأهم هو مناوأة الاسلام وحده فطاف في الجزائر ، وخطب في مسارحها ، ودعا الناس الى الكفر والالحاد . وكل محاضرة يلقيها في أي بلد من الجزائر ، كان شبان المسلمين يحضرونها ، ويستمعون لها ، ويسمعون بآذانهم مايقوله المحاضر فيها من طعن على الاسلام واعتداء عليه ، فيسوءهم

ذلك ، ويحنقون ويكادون يتميزون من الغيظ . ولكن الرجل كان من أشد الناس خبثاً ودهاء ، وكان سرعان ما يلحظ على وجوه هؤلاء الشبان حنقاً وانفعالا ، فيعمد إلى إرضائهم ويقول (.. لستُ أريد هذه الشبيبةَ المسلمة المستنيرة التي تعلّمت في مدارسنا ، وتمدنت بمدنيتنا ، وتربّت بأدبنا ، وأصبحت منا على قاب قوسين أو أدنى . وما منع هؤلاء الشبان المسلمين أن يكونوا منا إلا هذه الطرابيش الحمراء التي تغطّي أدمغة صالحة لأن تُبذر فيها وتنمو أفكار الفلاسفة المفكرين الذين يعقلون ، ولا يؤمنون بخرافة الاديان ! وهؤلاء الشبان ، قبل أن يتطربشوا ، قد قطعوا شوطاً واسعاً في التقدّم وحرية الفكر . فنبذوا العمامة ونبذوا معها كثيراً من الافكار البالية العتيقة ! (كذا) ، وسوف لا يتحرّجون أن ينبذوا الطربوش ، وينبذوا معه آخر ما بقي عندهم من العقائد والخرافات . وإنه ليسرُّنا أن نرى اليوم رجال الشرق الاسلامى يخرجون من الاسلام ، ويرقون الى مصاف الملاحدة الذين هم الطبقة المستنيرة المفكّرة في كلّ عصور التاريخ . ويذكر الصلاة ، فيستبشر بأن عدد المسلمين

الذين يقيمون الصلاة يقلُّ يوماً فيوماً . ويقول: إن مدارسنا الاروبية في الشرق ، لها الفضل الكبير في (تحرير) كثير من شبّان الاسلام ، وفكّ رقابهم من تكاليف الصلوات ! ويذكر الصومَ ، فيثني على المسلمين الذين لا يصومون ، ويصفهم بالعقل والحكمة . وهنا يسرد حكاية مهندس جزائري يقطن اليوم في فرنسا كان تخرّج في كلية « الرياضيات » بمدينة ليون . ويثني على هذا المهندس الجزائري المسلم ، ويفضله في العلم والحكمه ، والذكاء والنشاط . ثم يقول : « . . ولكنني أتأسف كثيراً له ، لانه مايزال الى هذا اليوم يقيم الصلاه ، ويصوم رمضان ! . . » ويذكر الحج ويستقبحه ، ويستثقله ، ويزعم أن كل مسلم يحجّ ، يندَم لما يلاقيه في حجته من نصب وعناء . مع أن الحج هو أقصى ما يتمنّاه هؤلاء المسلمون : من حج منهم ، ومن لم يحج . ومع أن السلطة القائمة في الجزائر هي التي تسبّب للحُجاج الجزائريين كل ما يصيبهم من تعب وأذى ، بما تضعه في سبيلهم من العراقيل والصعوبات ومنها الزامهم بان يحجوا على باخرة تعينها الحكومة ، وقد

يشحنون فيهـا شحن البضائع . إلى غير ذلك من القيود والتضييقات .

ثم كتب مقالا في مجلة (الفكر الحرّ) الفرنسويةوصف فيه طوافه ببلاد الجزائر وتونس ، وما ألقاه من المحاضرات ، واعترف فيه بأنه كان يستعمل الحيلة والمكر في دعاية شباب الاسلام إلى الكفر والالحاد . فقال ما معناه : كنتُ أجد من شباب الاسلام سقاومة ، وأرى على وجوههم كراهية لما أدعوهم إليه ، غير أنهم كانوا أحداثًا أغراراً غيرَ مجرِّبين ، فاستطعت أن أتقي غضبهم وأن اجلب بعضهم بما كنتُ أُستعمله من الدهاء والخداع . فإن كرهوا انتقادي أو طعني على الاسلام حوّلت الكلام في الحال إلى دين المسيحيين أو إلى دين اليهود ، ومع ان شباب الاسلام كانوا أشدّ غيرةً على دينهم ـ أو قال: كانوا أكثر تعصباً لدينهم ـ من اليهود والمسيحيين الا إنهم كانوا غير مزوّدين بالمعلومات الدينية (الاسلامية) التي تكفيهم للمناضلة والدفاع عن دينهم ...

وبعد ما اغرى دعاة الالحاد الفربيين بشباب الاسلام في

بلاد المغرب بحجة أن هؤلاء الشبان المسلمين هم الآن عزّل غير متسلحين بالعلوم الدينية الاسلامية ، قال : ، وجاءني و ا في مستغانم مقدّم طريقة صوفية في الجزائر ليهديني وليجعل في عنقي (سبحة) أذكر بها (الله) ! فهديته أنا ، وبكل سهولة رمي بسبحته ، وعاد من الذين (لا يسبحون) ولا يؤمنون بالدين ! ..) وقد ذكر هذه الواقعة كدليل على أن كثيراً من المتدينين المسلمين هم يتدينون عن غير بينة ولا علم . وهم ليسوا باكثر تمسكا بدينهم من الشبان الاحداث

***

وعلى أثر ما نشرتُ في (الفتح) خبر ذلك الشاب المسلم الفاسي الذي تنصر ، مع أنه ابن أسرة مشهورة بالدين والصلاح و (التصوف) ، وذكرت أن سبب تنصره أنهم دخلوا عليه من باب « إن روح الاسلام هي التصوف ، وأن هذا التصوّف إنما هو نفس المسيحية .. » فكّرتُ في هذا الخطر المسيحي الذي قد يهجم على المسلمين من هذه الناحية والتمستُ لهذه الفكرة شواهدها الواقعية فعلمتُ أن (المجلة الاهلية) التي

تصدر بالفرنسية في باريس قالت في عدد نوفمبر وديسمبر سنة 1927 : إن بعض الاشياخ الصوفية فى بلاد المغرب (شمال افريقية) لهم اتصال ببعض الرهبان النصاري الذين يدارسونهم تعاليم يسوع المسيح (1) فكاشفت بهذا الامر صديقي الفاضل السيد جلول قارة مصطفى في تلمسان فقال : إنه رأى عند بعض الشيوخ منشوراً نشره المبشرون المسيحيون على اشياخ التصوف المسلمين يقولون لهم فيه أنهم اخوانهم في الدين(يريدون ان التصوّف والمسيحية دين واحد) ويزعمون فيه ان جميع الصوفية المسلمين ، ولاسيما اكابرهم ، كانوا يبشرون بالمسيح وذكروا فيه لهم امثلة وشواهد ، قالوا انها من التاريخ ، وهي زائفة مكذوبة ، وليست من التاريخ .

ثم ذكر لي أن التبشير المسيحى قد أصبح خطره شديداً على الاسلام في المغرب الاقصى . وقال انه رأى بعينه زهاء أربعين آنسة في حديقة عمومية بحاضرة مكناس وهن

« 1 » وقد ذكرت هذا المتصوّف باسمه وقالت انه في مستغانم ، وصاحبه الراهب في « جيريفيل »

سافرات ،غير محتجبات . يرقصن رقصا دينيا مسيحيا ، ويرتلن آيات الانجيل واناشيد الكنيسة . فسأل عنهن ، فقيل له : إنهن تلميذات مسلمات في مدرسة للمبشرين الكاثوليك(١) وعلى فرض ان بعضهن مسلمات لا جميعهن فانها مصيبة كبرى تجعل الشبان المسلمين ورجال الاصلاح الاسلامي يقفون موقف حرجا رهيبا أمام المبشرين الكاثوليك الذين يستمدون العون والقوة من حكومة الاستعمار ، حتى ان المسلمين في المغرب الاقصى لا يستطيعون أن يقوموا بادنى حركة إسلامية ضد التبشير المسيحي هنالك .

وكانت مجلة (الفتح) نعاون المصلحين في المغرب الاقصى على نشر الدعوة والارشاد ، وتدافع التبشير المسيحي عن الاسلام في كل مكان ، فيسوء ذلك التبشير المسيحي هناك ،ويفتضح أمره . أما وقد مُنع (الفتحُ) من دخول المغرب ، فسوف يتنشط المبشرون الكاثوليك ، وسيرى المصلحون هنالك أنهم فقدوا في « الفتح » أحسن وسيلة لنشر الدعوة والاصلاح .

«١» والمدرسة تحت اشراف الراهبات المبشرات

والامر الواقع الذى لاريب فيه ان المبشرين بدأوايهاجمون الاسلام من واجهة جديدة مستفيدين من جهالة بعض جهلائنا الذين يقولون في القرآن : « صوابه خطأ وخطوءه كفر !، وانه عسير لايفهم » مع ان الله تعالى يقول:«ولقد يسرنا القرآن للذكر ، فهل من مذكر؟ ويقول : «افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها ..» فالمبشرون يستغلون بعد المسلمين هذا عن القرآن الكريم ، والواقع الذي لاريب فيه ان ملاحدة الغرب وغيرهم من اعداء الاسلام يغري بعضهم بعضا بشبابنا المسلمين بحجة انهم مازالو احداثا غير مجربين ولا مسلحين بالمعارف الدينية الكافية . (يريدون : ولذلك يجب تكفيرهم ؟ بل ويمد الملحدون اعينهم بعد ذلك الى غير الشبان الاحداث فيطمعون فيهم بحجة انهم لا يتدينون عن بينة ولا علم

والامر الثالث الذي لاريب فيه ايضا ان الاستعمار يعين الملحدين على نشر الالحاد بين المسلمين، ويحمي ايضاً جمعيات المبشرين، ويعاونها بالمال ، وربما امدها باعانات مالية من اوقاف المسلمين . ثم هذا الاستعمار نفسه ينشط من جهة اخرى اصحاب الشعوذة والاباطيل التى الصقت بالدين، للصد عن سبيل الله ... في حين يمنع الجزائريين

من أن ينشروا بينهم لغة العروبة والاسلام

الامر جد ، وليس بالهزل . والاسلام يهاجم اليوم من كل جهة . وعلماء الدين في بلاد المغرب كلها لا يزال اكثرهم غافلين . لا يزودون الناس بالهداية الاسلامية الحقة ، ولا بتعاليم القرآن الكريم . انه يجب عليهم أن يتذكروا دائما قوله تعالى «ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البيّنات والهدى مِنْ بعد ما بيناه للنّاس في الكتاب ، اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ...»

فصل ختامي

التبشير المسيحي في كل يوم يهجم على الاسلام ويصبحه في دياره وعلماء المشرقيات باسم البحث العلمي في كل يوم يهدمون معنا جديداً من قواعد الاسلام وحصونه . والاستعمار باسم التمدين يحاول ان يلتهم الاسلام التهاما . وفي كل يوم تصدر آلاف من الصحف والمجلات والخطب والمحاضرات ، و كلها مطاعن ومفتريات على الاسلام ، في كل لغة من اللغات . ومع ذلك فان المسلمين

مازالوا طوائف وشيعاً ، منقسمين على أنفسهم ، متفرقين في دينهم لم يشعروا بما حاق بهم جميعا من الخطر العظيم . وما زال اكثر علماء الدين يوءلف لينصر طائفة مسلمة على طائفة أخرى اختها . وما زالوا في جمود وشقاق ، وضغائن وأحقاد ، اضاعت اعمارهم ، وشغلتهم عن الدفاع عن الله ورسوله ﷺ وعن الكتاب الذى انزل على رسوله وعن تزييف مايرجف به المرجفون بدين الاسلام وعن بيان محاسن هذا الاسلام

هذه حالة محزنة ، والله

انى اعتقد ان التبشير الاسلامي في هذا اليوم هو أيسر مايكون ، لو اجتهد علماء الاسلام واعتنوا بهذا السفه وهذه المطاعن التي طُعن بها الاسلام فجمعوها وتتبعوها ونقضوها وزيفوها بالحق ، والآيات البينات . ثم نشروا ذلك كله بين عامة المسلمين . فان ذلك خير للناس . واجدى على المسلمين من كثير من مسائل «علم الكلام»

والمسلمون بطبيعتهم الدينية دعاة مبشرون وانما تنقصهم المعلومات الضرورية للتبشير بالاسلام

وفي شبان الاسلام اليوم طائفة وفيرة تعلمت اللغات الاجنبية

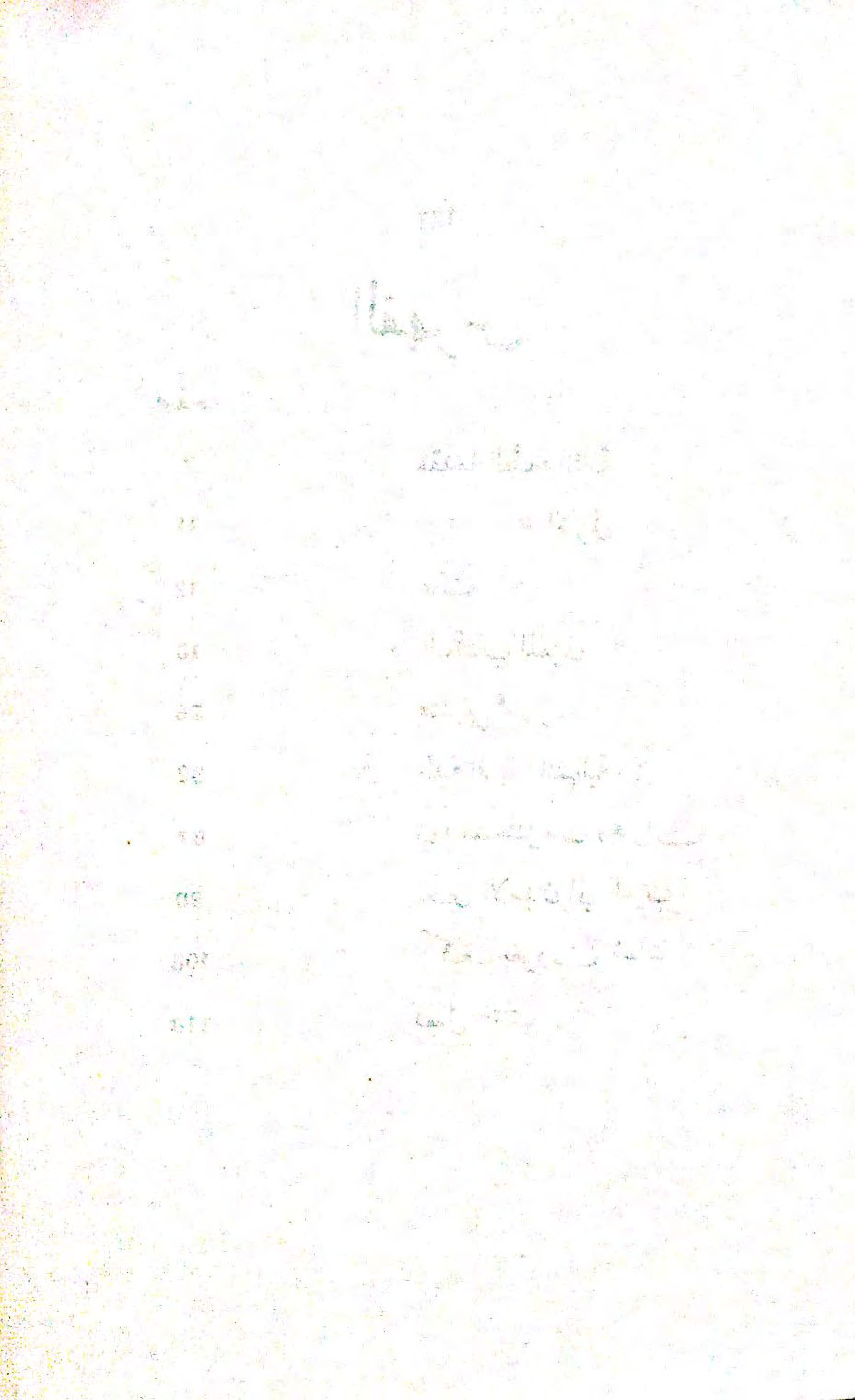
وحدقتها، فينبغى لعلماء الدين ان لا يتركوا الاستعمار يغلبنا على تلك الطائفة المتعلمة من الشبان، ولو ان علماءنا زودوها بالمعلومات الاسلامية الصحيحة ، لقامت للاسلام بدعاية نشيطة وتبشير واسع النطاق

ومن هذه الحوادث الواقعة التى نلو تها عليك تعلم ان التبشير الاسلامي لامحاله مفيدوان الدعاية الى دين الحق ، لابد ان نترك اثرها المحمود ، وذكر فان الذكرى تنفع المومنين ...

تم

الفهرس

صفحة	
7	مقدمة الطبعة الثانية
11	» » الاولي
12	عائشة
18	الكتاب الممزق
25	صديقي عمار
32	طلبة افريقيا الشمالية
67	في أحد متنزهات وهران
90	حنين الأسبان الي العرب
108	كيف يغوون شبابنا
118	فصل ختامي



كتب اخرى للمؤلف

قد انجزت بحمد الله هذه الكتب الآتية

وسنقدمها الى الطبع قريبا

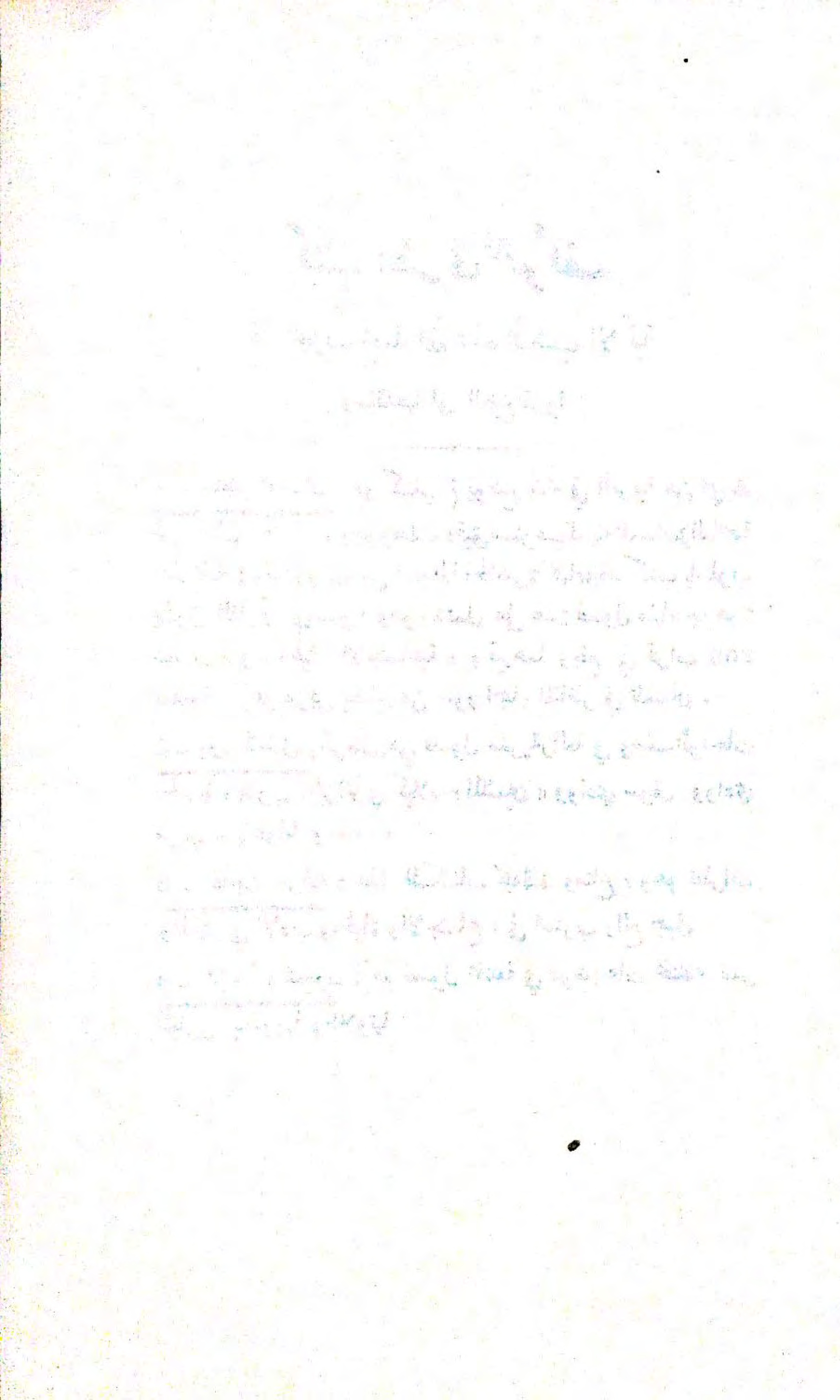
---

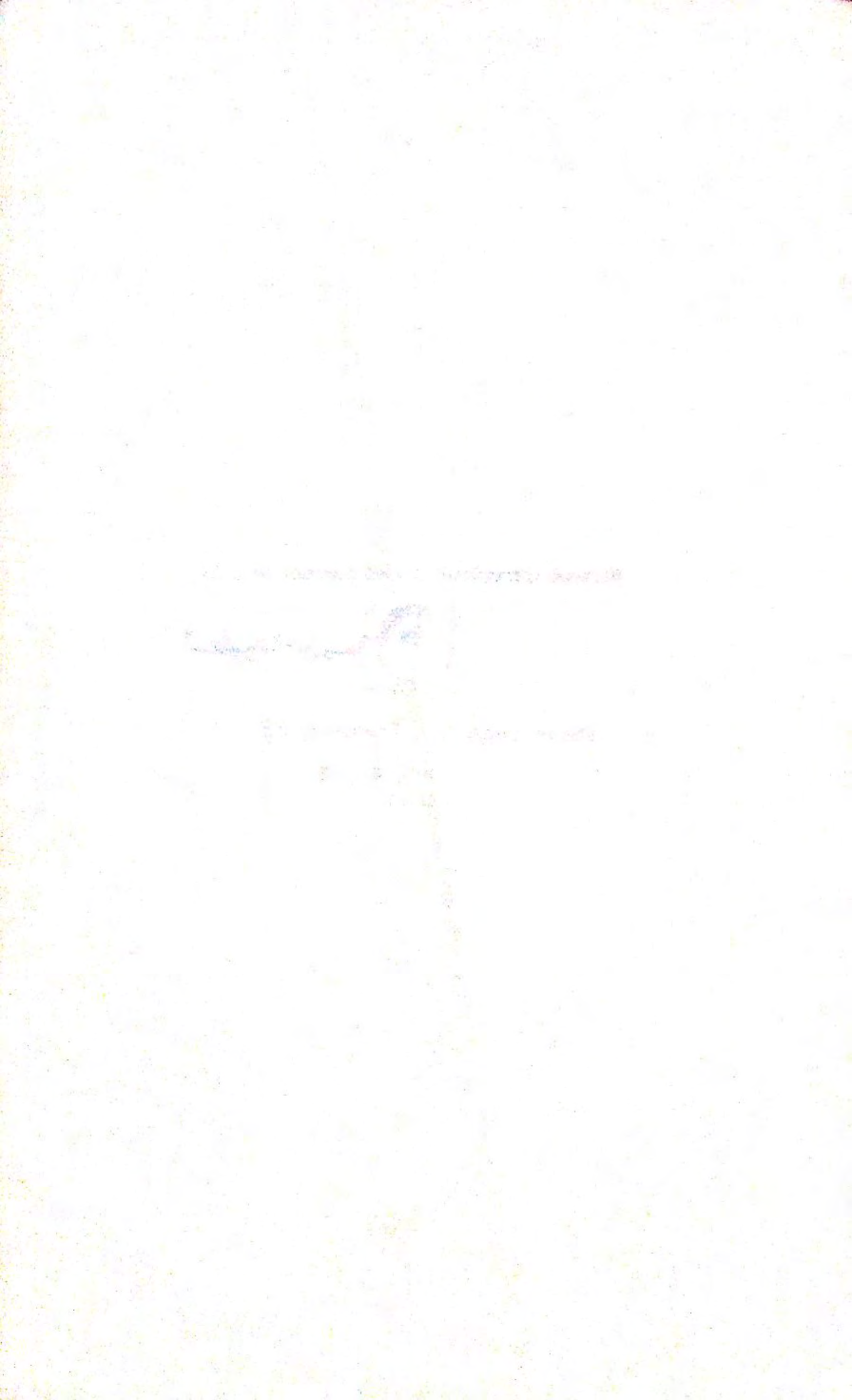
1 ـ حاضر تلمسان : هو كتاب لم يوضع مثله في العربية عن اي بلد من بلدان الجزائر ، وهو وصف دقيق مستوعب لمدينة تلمسان (العاصمة التاريخية) وبيان واف عن احوالها الحاضرة كلها، وقد كتب باسلوب يشوق القارىء ويستهويه وهو مشتمل على عدة فصول منها «جوهرة المغرب » و « الحياة الاجتماعية » وغيرهما ويقع في قراب 300 صفحة ، وهو مزين بكثير من صور اجمل المناظر في تلمسان .

2 ـ بين النخيل والرمال: هي فصول مغرية رائعة في وصف الواحات الجميلة بالجنوب الجزائري كبلاد « الملثمين » ووادي سوف ووادي مزاب والاغواط و.....

3 ـ حديث خرافة : هذا الكتاب كله لذة ومتاع ، وهو نظرات وافكار في الادب والحياة والاجتماع ، في اسلوب رائع جميل

4 ـ شؤون وشجون : هو فصول مختلفة في موضوعات مختلفه تسر القارىء بعذوبتها وطلاوتها





Achevé d'imprimer sur les presses de L.B.I.



Dépôt Légal 3e Trimestre 83

Ed N MDL 16. O.8

– ALGER –

